الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جـــامعة أحمد دراية –أدرار-

جامعة أدرار - الجزائر
universitéadrar-algéra

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية

القسم :العلوم الإنسانية
الشعبة : تاريخ **تخصص: تاريخ حديث ومعاصر**
الرقم التسلسلي **الرمز:**

العـــــــــــــنوان

جهاد الممالك الإسلامية بغرب إفريقيا ضد الاستعمار الفرنسي إمبراطورية الماندنجو نموذجا

مـــــذكرة تخرج مكملة لنيل متطلبات شهادة ماستر

إعداد الطالبة: **إشراف الأستاذ :**

طاطي عزيزة **الحمدي أحمد**

السنة الجامعية: 2017-2018م/1438-1439ه

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

أهدي ثمرة جهدي هذه إلى من أطعمتني الحب و الحنان إلى رمز الحب و بلسم الشفاء إلى القلب الناصع بالبياض أمي الحبيبة "الزهراء بوسماحة" زهرة واشراقة حياتي رحمة الله عليها ، وكما أهدي نجاحي هذا إلى من علمني العطاء بدون انتظار ، إلى من أحمل اسمه بكل افتنان، إلى من كلله الله بالهبة والوقار . والدي العزيز. "طاطي سيدي بادي المعروف بالجيلالي "

وإلى من قاسمتهم ظلمة الّرحم، وقاسموني أحضان المحبة، إلى عروق دمي، إلى من أرى التفاؤل بأعينهم والسعادة في ضحكتهم ، إلى القلوب الطاهرة الرقيقة إلى رياحين حياتي إخوتي محمد ، وصلاح الدين رعاهما الله .

وإلى شريكة فرحتي و شقائي أختي حياة حفظها الله لي .

سيقف قلمي هنا برهة ليستقر بين أنظار كما كتبت لعل هذه المفردات تكون خير معينة لتجسد ما بذرناه معا . . . وحصدناه معا و سنبقى معا لنشق درب الصداقة (ريمه، خديجة، إكرام، سهيلة، أمال، دادو فاطمة، فاطمة بوبكري، رجاء حمداوي.) إلى أساتذتي الكرام و كل رفقاء الدراسة، والى عبد الحكيم من ساعدني في إتمام هذا العمل.

وأرجو أن يكون عملي هذا نفعا يستفيد منه جميع الطلبة والباحثين في المجال .

عزيزة .

.شكر وعرفان.

اللهم لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك، وعظيم سلطانك ومجدك، الحمد الله الذي لا يبلغ مدحه القائلون، ولا يحصي نعماه العادون، ولا يؤدي حقه المجتهدون، على ما أنعمت علينا من نعم لا تحصى منها توفيقنا لإنجاز هذا العمل على درب البحث العلمي، فليس عندي شيء، ولا مني شيء، ولا لي شيء فالفضل والمنة والحمد الله وحده، القائل في كتابه العزيز» : وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم [» سورة إبراهيم الآية]07 وصلى الله على النبي المبعوث رحمة للعالمين محمد ابن عبد الله القائل من لم يشكر الناس فلم يشكر الله. "

الحمد لله الذي هدانا بنور الإسلام، والذي تواضع له كل شيء، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده .

أشكر الله سبحانه وتعالى وأحمده على توفيقه لي على إتمام هذا العمل، كما أتقدم بجزيل الشكر وخالص الوفاء والامتنان إلى أستاذي الفاضل" الحمدي احمد " الذي لولا إشرافه وتواضعه، ومساعدته ونصائحه وإرشاداته السديدة، لما كان لهذا العمل أن يكتمل بهذا الشكل .كما أتقدم بخالص الشكر إلى جميع الأساتذة الذين لم يبخلوا علينا بنصائحهم القيمة ومساعدتهم، فلهم مني خالص الشكر والتقدير كما لا أنسى أن اشكر كل من ساعدني في انجاز هذا البحث، والى من ساهم من قريب أو بعيد في تشجيعي ونصحي ومساعدتي ولو بكلمة طيبة .

إلى كل من أحببتهم بصدق و بادلوني نفس الشعور إلى كل من ترك في حياتي بصمة أمل .

DESIGN-WAREZ.RU

قائمة

المختصرات

الكلمة	المختصر
تحقيق	تح
ترجمة	تر
طبعة	ط
الجزء	**ج**
مجلد	**مج**
دون سنة	**د.س**
دون بلد	**د.ب**

مقدمة

لقد شاءت إرادة الله أن تكون شبه جزيرة العرب مهدا لأخر الرسالات السماوية ألا وهو الإسلام الذي أتى مكملا للشرائع والديانات التي جاء بها النبيون من قبله حيث أوحى الله تعالى إلى رسوله محمد صلى الله عليه وسلم بنشر الإسلام الذي يبشر بقيم ومبادئ لم تشهد البشرية مثلها من قبل ولا من بعد، ونتيجة دلك أن بعث نور الإسلام إلى مختلف الأرجاء والأمصار، والتي من بينها القارة الإفريقية التي كانت معروفة عند المسلمين الذين فروا من بطش قريش، وذلك أيام الرسول صلى الله عليه وسلم الذي أمرهم بالهجرة إلى الحبشة، ليأتي بعد فتح مصر في سنة 19هـ بقيادة عمرو بن العاصفي عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فكان ذلك آدانا بوصول المد الإسلامي إلى شمال إفريقيا وغربها.

وبدلك تعتبر القارة الإفريقية أول منطقة في العالم وصلها الإسلام بعد مكة، إضافة إلى كونها الموطن الأول للإنسان حسب اغلب الدراسات، لكن مع دلك فقد ظلت معرفة العالم الخارجي بها أو على الأقل بما في داخلها ضعيفا حتى القرن التاسع عاشر حين نشطت حركة الكشوف الجغرافية.

ولذا فتاريخ إفريقيا الحديث في جملته يتصل بعلاقة الأوروبيين بالذات بهده القارة تلك العلاقة التي بدأت بمحاولات الكشف عن خبايا القارة ثم انتهت إلى استعمار الأوروبيين للقارة، دلك الاستعمار الذي اشتدت حدته حتى كادت الدول الأوروبية ذاتها تصطدم بعضها البعض الآخر، وفي هذا الصدد كان طبيعيا أن يدافع الإفريقي عن حقوقه الطبيعية، وانطلاقا من هنا حفل تاريخ إفريقيا الحديث، ثم المعاصر بحركات المقاومة للتدخل الأجنبي، أو ما يعرف بحركات الجهاد .

ومن هذا المنطلق يرجع اختياري لهذا الموضوع المعنون بجهاد الممالك الاسلامية بغرب افريقيا ضد الاستعمار الفرنسي امبراطورية الماندجو نموذجا إلى عدة اسباب منها.

الأسباب الذاتية:

-الرغبة في إثراء الدراسات الإفريقية، اذ تعتبر إفريقيا جنوب الصحراء الامتداد الطبيعي والحضاري لشمال إفريقيا .

-الميول الشخصي لدراسة تاريخ إفريقيا في فترتي الحديث، والمعاصر.

الأسباب الموضوعية:

-تسليط الضوء على مراحل انتشار الإسلام بمنطقة غرب إفريقيا .

- الرغبة في معرفة النظام السياسي لممالك غرب إفريقيا، واستراتيجية الجهاد ضد التدخل الأجنبي بغرب إفريقيا.

-ادارك أهمية بروز الوعي التحرري والجهادي.

-معرفة الدور الذي قام به ساموري توري في قيادة حركة الجهاد بغرب إفريقيا.

الأهداف:

إن من أهداف البحث في الموضوع هو تسليط الضوء على دور الإسلام في تنمية الوعي لدى المجتمعات الإفريقية وحثها على الدفاع عن ممتلكاتها، ومحاولة التعرف على مفهوم الجهاد عند الممالك الإسلامية بغرب إفريقيا من خال دراسة نموذج عن تلك الممالك.

إشكالية الموضوع:

ما مدى دور الممالك الاسلامية بغرب افريقيا في مقاومة الاستعمار الفرنسي؟

الإشكاليات الفرعية.

وللإجابة على هذه الإشكالية العامة انطلقت من التساؤلات التالية.

- ماهي وسائل ومراحل انتشار الإسلام بمنطقة غرب إفريقيا؟
- فيما تمثلت أسباب ودوافع بروز فكرة الجهاد بالمنطقة ؟
- ماهي الاستراتيجية التي اتبعها الإمام ساموراي توري في تكوين إمبراطورتيه ودفاعه عن حدوده ضد الاستعمار الفرنسي؟
- وماهي المعطيات التاريخية أو العوامل التاريخية التي ساعدته في استمرار مقاومته وصموده في وجه الاستعمار الفرنسي؟

- كيف كانت نهاية إمبراطورية ساموري توري وفيما تجلت الأخطاء الاستراتيجية التي ارتكبها في حركة جهاده؟

خطة البحث:

وللإجابة على هذه الإشكاليات قسمت هذا البحث إلى ثلاث فصول ويندرج ضمن كل فصل مبحثين .

الفصل الأول جاء تحت عنوان انتشار الإسلام وبروز فكرة الجهاد بغرب إفريقيا،

حيث تضمن المبحث الأول وسائل وطرق انتشار الإسلام .

في حين خصصت المبحث الثاني لبزوغ فكرة الجهاد في المنطقة .

الفصل الثاني عنونته بعنوان إمبراطورية الماندنجو تأسيسا وتطورا .

وقد جعلت المبحث الأول للتعريف بحياة أو بشخصية ساموري توري.

في حين وضعت المبحث الثاني بعنوان تأسيس إمبراطورية الماندنجو وعوامل قيامها.

أما الفصل الثالث فكان بعنوان جهاد إمبراطورية ساموري توري ونهايتها. حيث جعلت المبحث الأول لمراحل جهاد أو كفاح الإمبراطورية، في حين تعرضت في المبحث الثاني لنهاية الإمبراطورية.

وخلصت في النهاية إلى خاتمة حاولت من خلالها الوقوف على أهم النتائج التي تم التوصل إليها من خلال هذه الدراسة.

المنهج المتبع:

أما بخصوص المنهج المتبع في مثل هذه الدراسات فتمثل في المنهج التاريخي ، بحكم طبيعة الموضوع نظر التقرير تواريخ الأحداث والوقائع التاريخية البحتة، ثم تحليل تلك المعطيات التاريخية ومحاولة إعادة تركيبها للوصول إلى نتائج، كما استخدمت منهج دراسة

حالة، نظرا لضرورة الموضوع الذي اتخذت فيه إمبراطورية الماندنجو نموذجا ودلك للتعمق في دراسته وجمع البيانات الشاملة للإحاطة به.

ولقد ختمت الموضوع ككل بخلاصة عامة، استعرضت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال دراستي هده .

وأخيرا أدرجت في نهاية الدراسة أو البحث مجموعة من الخرائط التوضيحية لسيرورة انتشار الإسلام والحملات العسكرية التي كانت بين الإمام ساموري والاستعمار الفرنسي إضافة إلى صور، تليها قائمة المصادر والمراجع وفهرس عام للدراسة .

المصادر والمراجع:

ولانجاز هده الدراسة اعتمدت على جملة من المصادر والمراجع الهامة منها .

كتاب البكري، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، وكتاب الاستقصاء لإخبار دول المغرب الأقصى ج2 لأبو العباس احمد بن خالد الناصري الذي ركز فيه على دور الملثمين والرابطين في نشر الإسلام بالمنطقة وفصل في أهم الأحلاف التي قامت من اجل دلك .

ومقدمة ابن خلدون التي اعتمدت عليها في التعريف ببعض المفردات .

أماعن أهم المراجع التي اعتمدت عليها فكان أهمها .

الهام محمد علي دهني، جهاد الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا ضد الاستعمار الفرنسي 1850م-1914م، حيث أثرت هذا الجانب أو الموضوع بمعلومات جد مهمة خاصة عن إمبراطورية الماندجو وفصلت فيها .

إضافة إلى كتاب محمود محمد السروجي بعنوان جهاد الإمام ساموري توري في غرب إفريقيا وهو مرجع ساعدني كثيرا خاصة وانه قسم حركة جهاد الإمام ساموري إلى عدة مراحل ساعدتني في فهم استراتيجية هده الشخصية في مقاومتها

إلى جانب اعتمادي على مجموعة من الرسائل والمذكرات الجامعية على رأسها مذكرة سمية جيمان، التوسع الفرنسي في السنغال خلال ق19 مقاومة ساموري توري نموذجا جيشا

اهتمت بشكل كبير بتناول مجريات أحداث مقاومة هده الشخصية وذكر المعطيات التي ساهمت في صمود مقاومة ساموري لفترة طويلة بغض النظر عن التحديات التي واجهته .

كما اعتمدت على بعض المقالات والمجلات والندوات منها.

-الموسوعة الإسلامية الموثقة .

-مجلة قراءات افريقية للسيد فليفل .

-دراسة لمنصف بكاي مدير مخبر الأبحاث والدراسات بجامعة الجزائر بعنوان ساحل العاج بين بناء الدولة الحديثة ومقاومة الامبريالية الفرنسية .

ولا اغفل أيضا عن المراجع باللغة الأجنبية وخاصة التي تحدثت عن شخصية ساموري وإمبراطورته المتنقلة ونجد من أهمها samurai et la sierra Leonein RESISTANCE Kayes.cahiersd'études 1967

الصعوبات:

لقد اعتبر المفكر الجزائري مالك بن نبي في إحدى نظرياته المميزة أن.

الصعوبات تعد علامة نمو المجتمع، لأنها محفز لليقظة والنهضة، فالصعوبات تمنح البحث قيمته العلمية وتجعل الباحث يوظف قدراته الذهنية، مسخرا كل طاقاته لتجاوزها، ومن بين الصعوبات التي واجهتني هي.- نقص المادة التاريخية والدراسات السابقة التي تعالج الموضوع مباشرة أدى إلى صعوبة وجود مادة علمية يعتمد عليها، وهذا في الحقيقة يكشف عن الضعف الموجود على مستوى الجامعات ومراكز البحث الجزائرية للتعاطي مع المواضيع التي تعالج تاريخ ومشاكل القارة الإفريقية. وماعدا مجرد صعوبات روتينية يتلقاها الباحث في مسيرة البحث العلمي التي تستوجب عليه دلك .

وفي الأخير لا ادعي في عملي هذا كمالا وأنني أحطت واستوفيت بكل أحداث ووقائع الموضوع، ولكن على الأقل أمطت اللثام على جزء منه، فاتحين المجال أمام البحوث الأخرى لمواصلة البحث والتقصي في الموضوع .

الفصل الأول

انتشار الإسلام وبروز فكرة الجهاد بغرب إفريقيا

تمـــهيد

المبحث الأول : عوامل وطرق انتشار الإسلام في غرب إفريقيا

1 – دخول الإسلام إلى الغرب الإفريقي

2–مراحل انتشار الإسلام في غرب إفريقيا

3–وسائل انتشار الإسلام في إفريقيا

المبحث الثاني: بزوغ فكرة الجهاد

1– أسباب ظهور ونمو فكرة الجهاد

2–الاستعمار والمقاومة الإسلامية في غرب إفريقيا

الفصل الأول: انتشار الإسلام وبروز فكرة الجهاد بغرب إفريقيا.

قد يضع الزارع البدرة، ثم يبتعد عنها ويتركها، ولا يدري أي مبلغ قد تبلغ، ثم يراها غيره بعد سنوات، فادا بها دوحة عظيمة الجدع، كثيرة الأغصان، ، وارفة الظلال، وادا بعشرات من الزراع غيره ينهضون لرعايتها، والحفاظ عليها حتى تثمر ثمرا طيبا، سائغا أكله، ويكون الفضل والجزاء العظيم لمن بدر البدرة في البداية، بمعنى أن الفضل الكبير لانتشار الإسلام بقارة إفريقيا عامة، وغربها خاصة يعود إلى عدة عوامل منها ما يتعلق بطبيعة القارة، ومنها ما يتعلق بطبيعة شعوبها وادا أردنا التعرف. على قصة انتشار الإسلام بإفريقيا علينا التعرف على هده العوامل، وانطلاقا من هنا فقد ارتأيت أن اخصص الفصل الأول.

– لأسباب وطرق ومراحل انتشار الإسلام، وخاتمة هذا الفصل بأسباب بروز فكرة الجهاد ونتيجة الدعوة الإسلامية وتأثيرها على شعوب هذه القارة فقد اختلف الكتاب فيما بينهم بشأن الطرق التي أنتشر بها الإسلام في القارة الإفريقية، فإلى وقت قريب كأن الكثيرون من الكتاب ومن المؤرخين ينسبون انتشار الإسلام وبنوع من التعميم، إلى استخدام السيف وسيلة لإجبار الأهالي في المناطق المختلفة على الدخول في دين الله الحنيف، ولكن الأبحاث العلمية زادت بعد دلك من توضيح الخطوط التي سار عليها الإسلام، وبخاصة في القارة الإفريقية نومن زيادة أهمية الدعوة من آجل الإسلام، وبالموعظة الحسنة، أكثر من استخدام المسلمين للسيف. ثم زاد بعد دلك الأمر وضوحا بإظهار أهمية الاتصال البشري وهذا معناها أن انتشار الإسلام بقارة إفريقيا عموما وغربها قد تعددت طرقه وسائل انتشاره.

المبحث الأول: وسائل وطرق انتشار الإسلام.

الإرهاصات الأولى:

ظهرت الدعوة الإسلامية في بداية القرن السابع ميلادي بقلب الجزيرة العربية في فترة من التاريخ كانت البشرية فيها بأمس الحاجة إلى رسالة من السماء تنقد المجتمعات من الانهيار، وتصفي القلوب من شوائب الشرك، وتوجه العقول نحو عقيدة الوحدانية، وكانت الأقطار الإفريقية بعيدة كل البعد عن الحركة الدينية الجديدة، اللهم إلا ما كان من هجرة الصحابة الكرام رضوان اللهم عليهم إلى الحبشة إثيوبيا اليوم بإيعاز من الرسول صلى الله عليه وسلم :لو خرجتم إلى ارض الحبشة فان بها ملكا لا يظلم عنده احد، وهي ارض صدق، حتى يجعل الله لكم فرجا مما انتم فيه.[1]

ويفتخر الإفريقيون بان أول هجرة للمسلمين–تدعيما للإسلام– كانت لإفريقيا بالذات، تلك الهجرة التي سبقت الهجرة النبوية للمدينة، وتأسيس الدولة الإسلامية بها .

ولكن يبدوا أن تأثير هاتين الهجرتين كان محدودا ومحليا، حيث لم ينتشر الإسلام بحق في إفريقيا عامة إلا عندما دخل من بابها الشمالي الشرقي .

ولدلك فان تاريخ دخول الإسلام إلى إفريقيا كان بعد استقرار أركان الدولة الإسلامية في عهد الخليفة الرّاشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، لنشر الإسلام وتوسيع رقعة الدولة المسلمة، ففتحت مصر عام 19هـ على يد الصحابي عمروا بن العاص، ودخول مصر الإسلام يعتبر مرحلة [2]هامة في تاريخ الإسلام في إفريقيا، فمن مصر اتجه المسلمين غربا ففتحت برقة وطرابلس.–فقد واصل الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه، ففتح بلاد المغرب العربي بقيادة عبد الله بحري للمساعدة في الفتوحات الإسلامية .–وفي العهد الأموي بدأ الخليفة معاوية بن أبي سفيان عهده بإتمام سياسة سابقيه من الخلافة الإسلامية الأموية في مصر، وأسند إلى القائد عقبة بن نافع القهري قيادة الفتوحات في تونس لتكون قاعدة

[1].19 :37.10/09/2017–2018–1998 islamweb.net

لانطلاق الجيوش الإسلامية، وفتح المغرب ووصل إلى سبته، وطنجة حتى يكمل حسان بن النعمان، وموسى بن النصير توسيع رقعة الدولة الإسلامية[1].

فمن خلال كل هذا يتجسد لدينا مفهوم أن معطى الفتوحات الإسلامية لعب دورا كبيرا في نشر الإسلام وتجسيده على ارض الواقع.

دخول الإسلام إلى الغرب الإفريقي.

تعتبر قارة إفريقيا إحدى قارات العالم القديم، وكانت أو لقارة وصل إليها الدين الإسلامي، بدليل ما ذكره المؤرخون، حيث قالوا أن المناطق العليا لنهري النيجر والسنغال قد أصبحت تحت النفوذ الإسلامي مند القرن الثامن الميلادي، وكتب الجغرافيون العرب عن هذا الجزء من العالم مند دلك التاريخ، وكان المسعودي احد هؤلاء المؤرخين الدين كتبوا عن تلك المنطقة. وقد استرعى المسعودي الأنظار إلى ظهور مجتمعات إسلامية في منطقة السافانا بغرب إفريقيا مند عام947م.وساهمت الأنشطة التجارية عبر الصحراء بين الشمال الإفريقي والممالك القديمة في السودان الغربي في انتشار الإسلام بين شعوب تلك المنطقة بصورة ملموسة.[2]

وهذا ما ينفي المقولة التي تقول بان المرابطين هم أول من ادخل الإسلام إلى بلاد السودان الغربي، أيأن دخول الإسلام إلى هده المناطق يرجع إلى القرن 11م، ويهذا فان هذا الاعتقاد لا يستند إلى أساس، وهذا بدليل ما كتبه عدد من المؤرخين الدين زاروا هده المناطق وكتبوا عنها، فسبيل المثال كتب احمد بابا أن مدينة غانا كانت تضم 12 مسجدا وفي القرن7م، كما أن سلطنات إسلامية قد قامت مند القرن9م بدور كبير في نشر الإسلام.[3]

وقد ذكر البكري في عام 1067م أن ملك مملكة غاو كان مسلما وان سكان غاو كانوا لا يولون غير المسلم زمام الحكم في بلادهم.

---

[1]–رانيا سنجق ،كيف دخل الإسلام إلى إفريقيا45: 15،2017/09/10

[2]–عثمان برايما باري، جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي، دار الأمين للطباعة،ط،1421،1ه/2000م،ص17

[3]–جلال يحي، تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، المكتب الجامعي الحديث لازاريطة، الإسكندرية،1999ص27

ولا يعني هذا بالطبع أن الشعب برمته كان مسلما، وإنما كان فيه وثنيون.

ويرى المؤرخ الغربي، ليفنجستون1812-1872م أن إسلام مملكة التكرور قد سبق قيام دولة المرابطين التي فرضت هيمنتها على الشمال الإفريقي وصولا إلى دلك الجزء في غرب إفريقيا ثم تحالفت معها فيما بعد. وقد ساهم ملوك وسكان تلك المملكة في نشر الإسلام بقدر كبير في تلك المنطقة وكانوا أول من قاموا بمسيرات جماعي إلى مكة المكرمة للحج.1 وبدلك فقد انتشر الإسلام في بلاد السودان الغربي ابتداء من الطبقات العليا، ثم استمر انتشاره بعد دلك حتى وصل إلى العامة.[2]

وهنا في رأيي يكمن دور الطبقة الحاكمة ورجالها في توجيه الشعب، فالشعوب دائما تدين بدين ملوكها.

فالانتشار الفعلي للإسلام في إفريقيا، وزيادة معدله بدت واضحة في الربع الأخير من القرن التاسع عشر، ومن أهم ما يذكر في هذا الشأن هو أن القوة السياسية هي التي فرضت بالحرب، أما الإسلام فقد انتشر سلميا وتغلغل بين الشعوب الإفريقية.

بقوافلها في الغرب الإفريقي وقد عبر بوضوح عن هذا ا لكونت ذي كاستري بقوله. إن الإسلام لم يكن له دعاة متخصصون للقيام بالدعوة إليه، وتعليم مبادئه كما في المسيحية، ولو انه كان للإسلام أناس قوامون لسهل علينا معرفة السبب في انتشاره السريع، فقد شاهدنا الملك شارلمان يستصحب معه على الدوام في حروبه ركبا من القسس والرهبان ليباشروا فتح الضمائر والقلوب بعد أن يكون هو قد باشر فتح المدن، والأقاليم بجيوشه التي يصلى بها الأمم لا هوادة فيها، ولكنا لا نعلم للإسلام مجمعا دينيا يتبع الجيوش فلم يكره احد عليه بالسيف ولا باللسان[3]

[1]-عثمان برايما باري ،المرجع السابق،ص19

[2]-جلال يحي، المرجع السابق،ص29.

[3]حورية توفيق مجاهد،إفريقيا قارة الإسلام انتشار الإسلام في إفريقيا في القرن العشرين،ص40.

وهنا يكمن جوهر الإسلام فهو دين ترغيب وتحبيب، وليس دين ترهيب .

مراحل انتشار الإسلام في غرب إفريقيا.

-**المرحلة الأولى:** هي انتشار الإسلام في شمال إفريقيا، وزحف العرب على اسبانيا .

-**المرحلة الثانية:** وهي أسلمت قبائل الطوارق ودورها في تعريف الشعوب الإفريقية بمعنى جنوب الصحراء بالإسلام عن طريق المبادلات التجارية .

-**المرحلة الثالثة:** تحالف قبائل الطوارق مع قبائل التكلور، والفولاني في السنغال ومالي، والقضاء على مملكة غانة القديمة.-المرحلة الرابعة. دور قبائل الفولاني بجهادها، ومثابرتها لنشر الإسلام في غرب إفريقيا، وإقامتها ممالك إسلامية وهي مملكة عمر الفوتي في مالي، وخلافة سكوتو في شمال نيجيريا.

ومن خلال هذا السياق فإنني أرى بأن هذه المراحل هي اكبر دليل على أن الإسلام في إفريقيا قد انتشر بالطريقة السلمية وهذا ما ينقد الأفكار أو بالأحرى الإشاعات التي تمخضت عن أبحاث غربية، والتي دعمها المستشرقين بقوة والتي تقول بان الأفارقة اجبروا على اعتناق الإسلام بقوة وعلى رأس هؤلاء نجد المستشرق برمنجهام، حيث انه ذكر في مواضع مختلفة أن الإسلام انتشر بالطرق السلمية، ولكن استثنى حالتين خصهما بالذكر فقال عن الحالة الأولى : أن محاولة نشر الإسلام في بلاد السودان عن طريق القوة جاءت من خلال بربر الصحراء الغربية الدين انظموا إلى حركة المرابطين، ثم زعم أن المرابطين بعد أن اسقطوا غانة قاموا بإجبار جماعات كثيرة جدا من سوننك غانة على اعتناق الإسلام.[1]

لكن حسب رأيي لا يمكن أن نحكم على مقولته وهذا يرجع إلى المعطيات أو بالأحرى الظروف التي قال فيها هذا، وأيضا الخلفية التي جاء منها، ولكن في الغالب فان رأيه هو يناقض اغلب الكتابات التي ترى بان الإسلام قد انتشر بالطريقة السلمية

[1]-سعود بن حمد الخثلان ،المستشرق ترمنجهام ومهجه في دراسة انتشار الإسلام في غرب إفريقيا وموقفه من الإسلام والمسلمين ،جامعة الملك عبد العزيز ،المملكة العربية السعودية ،ص30.

وسائل انتشار الإسلام في إفريقيا.

لم ينتشر الإسلام على أيدي مبشرين دعاة منظمين مرتبطين أصلا بدولهم، على خلاف المسيحية التي اعتمدت في انتشارها أساسا على جهود المبشرين المرتبطين بالدول الأوربية المستعمرة، حيث بدأت الدعوة على أيدي مسلمين من دوي الأصول الأسيوية في الجنوب والشرق، إلا أنها سرعان ما إن انتقلت إلى الشعوب الزنجية نفسها، ليصبحوا هم رسل الدعوة الإسلامية في القارة بعد استيعابهم للإسلام، وتعددت وسائل انتشار الإسلام في إفريقيا، ومن أهمها.

أهمية الإسلام.

الإسلام دين وعقيدة ومنهج وسلوك، حيث يحمل هذا الدين في جوهره الكثير من الخصائص والمميزات التي تتعلق بحياة الإنسان أيا كان وتخاطب مباشرة عقله ووجدانه، كما أنها تتعلق بسلوكه وحياته اليومية لدا فان كل ما جاء به الإسلام من خلال النصوص القرآنية الواضحة آو من خلال السنة النبوية، أو سلوكيات الرسول صلى الله عليه وسلم، والصحابة رضوان الله عليهم كل دلك كان له تأثيره المباشر في عملية انتشار الإسلام بمعنى أن الإسلام كمنهج ودين استطاع أن يوجه الإنسان ويضعه في الطريق الصحيح مستندا في دلك على عدة مبادئ[1]فلقد اشتمل الإسلام على مجموعة من المبادئ التي تتعلق بالعقيدة والإيمان الذي بني على الوحدانية تجسدا في الشهادتان وهنا يكمن جوهر الإسلام، وكذلك إقرار الإسلام مبدأ لا إكراه في الدين بمعنى أن هذا المبدأ هو الذي يحقق الحرية الفردية ويضمنها بكل مالها من معنى، بدليل العقل الذي أودعه أو كرم الله به الإنسان وميزه عن بقية المخلوقات به، فمند انتشار الإسلام المبكر تجسد هذا المبدأ، وكانت أوامر وتعاليم الله إلى نبيه .يا محمد انك لن تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء.

[1] عطية مخزوم الفيتو ري، دراسات في تاريخ شرق إفريقيا وجنوب الصحراء. ط1نمنشورات جامعة قار يونس ص،ص92.93-

وانطلاقا من هنا فان الأفارقة قد أدركوا واقتنعوا بان الإسلام هو دين سلم وقناعة وحرية، وليس دين تعسف وإكراه.، لان الإسلام دين الفطرة البشرية.[1]

بمعنى أن الإنسان له حق اختيار ديانته والإيمان بمعتقداتها، والى جانب دلك اقر الإسلام مبدأ العدالة بين الأفراد من حيث الحقوق والواجبات، كما عالج الإسلام ظاهرة الاسترقاق وحد من انتشارها .

ومن العوامل الذاتية التي تميز بها الإسلام معالجته للجوانب الاقتصادية بحياة الفرد والجماعة حيث فرض الله الزكاة وجعلها ركنا أساسيا[2]وحسب رأيي هذا المبدأ يعبر عن أهمية التعاون وتحقيق المساواة بين أفراد المجتمع، وتخطي الفرو قات الطبقية وتجاوزها.

إن الإسلام قد حمل في طياته العديد من السمات والخصائص الذاتية التي تتعلق به كدين، والتي تعتبر المحور الأول في انتشار هو المحور الأساسي في إقناع الآخرين به كدين سماوي خاتم لكافة الأديان[3]، ففي نظري اعتبر أن سهولة وبساطة الدين الإسلامي ومبادئه التي جاء بها هي السبب وراء تقبل الأفارقة له خاصة أنهم قد تلاءموا معه، وهذا يعود إلى أن الإسلام هو دين الفطرة البشرية.

التجارة:

لعبت التجارة دورا هاما في نشر الإسلام والثقافة العربية في غرب إفريقيا، وخير مثال على ذلك ما قاله ارنولد توماس أن التجارة والإسلام في غربي إفريقيا مرتبطان كل الارتباط.[4]

وهذا ما أشار إليه برمنجهام حيث عبر عن الصلة المهمة بين الإسلام والتجارة بقوله أن الإسلام والتجارة يرتبطان إلى حد كبير وذلك على الرغم من الحواجز الطبيعية التي كانت تفوق الوصول إلى قلب القارة إلا انه كان هناك مراكز تجارية بمثابة موانئ يتوقف عندها المسافرون عبر الصحراء، يستريحون ويقومون باستبدال الجمال المنهكة لمواصلة الطريق

[1]عبد الفتاح مقلد الغنيمي. حركة المد الإسلامي في غرب إفريقيا.ط1،دار نهضة الشرق،القاهرة،1985م،ص183.

[2]،عطية مخزوم الفيتو ري، المرجع السابق ،ص،ص96،94

[3]عطية مخزوم الفيتو ري، نفس المرجع،ص101.

[4]–ارنولد توماس، الدعوة إلى الإسلام، ترجمة حسن إبراهيم حسن، مكتبة النهضة المصرية،1970م،ص371

إلى بلاد السودان الغربي محملين بمختلف السلع، وكان للتجار المسلمين دورا بارزا في نشر الإسلام، وذلك من خلال احتكاك هؤلاء التجار بالسكان الأصليين الأفارقة، وكثيرا ما ينتهي هذا الاحتكاك بدخول الكثير من هؤلاء الأفارقة في دائرة الإسلام[1].

بمعنى أن الصفات والسلوكات الحسنة التي كان يمتاز بها التاجر المسلم الذي كان يجمع بين التجارة ونشر الإسلام هو الذي حبب الأفارقة وقربهم إلى الإسلام فقد كان هذا التاجر كلما دخل قرية وثنية فسرعان ما يلفت الأنظار إليه بكثرة وضوئه وانتظام أوقات صلاته والعبادة، وما يتحلى به من سمو عقلي وخلقي بدلك فرض احترامه والثقة على الأهالي.

كما وثق بهم رجال الطبقة الأرستقراطية هذا ما جعلهم يحضون باستقبال خاص في بلاط الملوك ويتلقون الترحيب، ودلك راجع إلى أخلاقهم الرفيعة وخبرتهم في الشؤون الإدارية والمالية وبمجرد استقرار أولئك التجار في بعض المدن فإنهم ينشئون كتاتيب أو مدارس لتعليم الإسلام كذلك تحفيظ القران الكريم ليلا، وبناء المساجد التي كانت مقرا للدعوة إلى الإسلام ومن بين المدن التجارية التي لها شان كبير في خدمة الإسلام مثل اودغشت وتمبكت[2].

يعني أن انتشار الإسلام كان واسعا في المدن التجارية التي كانت ملتقى هؤلاء التجار بزبائنهم في غرب إفريقيا وكان دلك بطريقة سلمية دون اللجوء إلى القوة حيث يذكر السلاوي أن المغرب كانوا يجتمعون في سجل ماسة ثم يسيرون قوافلهم إلى غانة ويبعثون ما معهم من الأمتعة والثقال التبر كما نجد هؤلاء التجار يقومون باصطحاب الفقهاء معهم من اجل تعليم وتثقيف الناس أمور دينهم ودنياهم.[3]وهذا يدل على الثقة المتبادلة بين السكان الأصليين

[1]–شوقي عطا الله الجمل، عبد الرزاق إبراهيم، تاريخ المسلمين، ومشكلاتهم، دار الثقافة للنشر والتوزيع،القاهرة،1996م ،ص87

[2]–محمد عبد الحليم رجب، موسوعة سفير للتاريخ الإسلامي، سفير للطبع والنشر،القاهرة،1996،ج9،ص10

[3]–جمال زكرياء قاسم، الأصول التاريخية للعلاقات العربية الإفريقية،ط1،دار الفكر العربي،1998ص156

والتجار وقد كان هؤلاء التجار يخرجون في قوافل ويسلكون عدة طرق للوصول إلى غرب إفريقيا وهي.

- طريق من مراكش إلى منحنى نهر النيجر والمناطق الواقعة في الجنوب.
- طريق من تونس إلى المنطقة الواقعة بين نهر النيجر وبحيرة تشاد.
- طريق من طرابلس إلى المنطقة المحيطة ببحيرة تشاد.
- طريق سجل ماسة ولاته وهو طريق يؤدي إلى مناجم الذهب في السنغال وأعالي النيجر.
- طريق الدرب الصحراوي الذي تجتازه قوافل الحج المعروف يمتد من مالي وينتهي عند أهرام مصر بمنطقة الجيزة.
- الطريق الذي كانت تسلكه القوافل بين الشمال والجنوب من أسيوط إلى دارفور ويتصل بحوض النيل.

بواسطة هده الطرق التجارية عرف العالم لأول مرة أخبار الشعوب والممالك السودانية التي ظهرت في التخوم الجنوبية للصحراء الكبرى مثل مملكة غانة القديمة، ثم مملكة السونغاي التي كانت تقع بالنيجر الأوسط ومملكة مالي التي كان تقع بغرب القارة الجنوبية كل هده الطرق فتحت المجال أمام أولئك التجار للدخول إلى القارة، إذ أن العرب فاقوا غيرهم فقد وصلوا إلى الصميم عن طريق هجرات متتالية.

المربون أو المصلحون والدعاة المحليون:

يتمثل دورهم في إكمال عمل التجار، حيث قاموا بدعم عملية التحول للإسلام، فكلما تطور مجتمع إسلامي احتاج الأمر إلى وجود معلمين وعلماء لتعليم الأفراد الدين الجديد، بل أن بعض علماء الدين من الإفريقيين أسهموا إسهاما كبيرا في إثراء الحضارة العربية والإسلامية، ليس فقط على مستوى إفريقيا وحدها ولكن في البلاد الإسلامية الأخرى، حيث قام بعضهم بالتدريس في الجامعات والمراكز الإسلامية المختلفة، كما أصبح الكثير من

مؤلفاتهم يدرس بها. وقد أدى" الأزهر وكل من الزيتونة والقيروان"[1] وغيرهما دورا أساسيا، وقد ازدهرت مراكز العلوم الإسلامية بفضل وصول المعلمين وعلماء الدين من الحجاز وشمال إفريقيا لنشر تعاليم الإسلام، ومن أهمها مركز جيني جنة وتمبكتو وغاوا في الغرب، وهرر في الشرق، وكان لهم دور مهم في تحقيق الاندماج والتماسك، كما قاموا بالوساطة الداخلية بين القبائل والعشائر في المجتمعات غير المركزية، فضلا عن الوساطة الخارجية بصفتهم مبعوثين لمعرفتهم باللغة العربية ودرايتهم بالشريعة الإسلامية، كما تولوا تدوين دفاتر الحسابات، وتسجيل قضايا المحاكم، وعملوا مستشارين وحرسا خاصا للحكام. ومن هنا يمكننا أن نقول بان الدعوة الإسلامية كانت دعوة زوجية خالصة، وكان الداعي المسلم يتعقب الفاتح، ليكمل النقص في هداية الناس إلى الإسلام، فقد نجح الرواد المسلمون الأوائل في دخول الناس في دين الله أفواجا، وفي تكوين دول إسلامية في مناطق كثيرة من القارة وخاصة في غربها.

ومن أهم الدعاة الدين نشروا الإسلام بين البربر في الصحراء الكبرى والتكرور وفي السنغال والسوننك في غانة الشيخ عبد الله بن ياسين الجزولي المتوفى عام451هـ-1059م، والدي قامت على يديه دولة المرابطين.

وهنا كداعية آخر قام بنشاط كبير في حوض نهر النيجر الأعلى هو أبو القاسم علي بن يخلف الذي اسلم على يديه ملك مالي.

وفي بلاد الهوسا نجد داعية إسلامي كبير وهو الشيخ محمد عبد الكريم المغيلي.[2]

[11]-القيروان. لفظ فارسي دخيل في العربية ومعناه محط الجيش ومناخ القافلة، وموضع اجتماع الناس في الحرب وهي المدينة التي بناها عقبة بن نافع الفهري، بعد قلع الأشجار وتنظيفها فبنت دار الإمارة والمسجد الجامع واستغرق بنائها خمس سنوات من50هـ الى55هـ.ينظر عبد العزيز الثعالبي. تاريخ شمال إفريقيا من الفتح الإسلامي إلى نهاية الدولة الأغلبية، تحقيق احمد،د.س ،د.ب.

[2]:111الموسوعة الإسلامية الموثقة ،2017/12/10 /15: 45

الطرق الصوفية.

إن هده الفرق الصوفية[1] كانت بصدد استكمال الدور الذي قام به التجار والدعاة على الأرض الإفريقية والهدف يبقى واحد آلا وهو العمل بكل جهد وجد لنشر الإسلام وتعميقه في نفوس الزنوج والعمل على إزالة الشوائب ومعظم هده الفرق أحدت الطابع الصوفي، وهده الطرق الصوفية عرفت انتشارا واسعا في المناطق التي يوجد بها فراغ روحي فكان الالتفاف حول شيخ الطريقة والانضمام لحلقات الذكر ما يشبع غريزتهم في البحث عن الأمان والطمأنينة، ودلك تحقيقا للتوازن النفسي عند الفرد الإفريقي، وسعيه لكمال الأخلاق.[2]

ولقد تميزت هده الطرق بدعوتها إلى الوحدة الدينية واعتمدت في نشاطها على الإرشاد واستخدام كل وسائل الترغيب وذلك بتأسيس المساجد، وفتح المدارس، وبذلك استطاعت أن تجدب سكان المنطقة إليها.[3]بمعنى أن هده الطرق قد شجعت انتشار الإسلام بالطريقة السلمية

وقد انتشرت بصورة كبيرة في أنحاء القارة، وهي أوسع انتشارا وأكثر تأثيرا في إفريقيا جنوب الصحراء عنها في الشمال، وان كان من الملاحظ أن نشاطها في نشر الدعوة قد بدا متأخرا ولم يتبلور إلا في القرن 19م، ومن أهم الطرق الصوفية الموجودة في إفريقيا، القادرية، التيجانية، والسنوسية.

وفي هذا السياق نستنتج أن أهم انجازات الطرق الصوفية هو أن التحول للإسلام انتقل على أيديها من حالات فردية إلى حالات جماعية، وهما مثل خطوة في تدعيم الإسلام في نفوس الإفريقيين.

---

[1]–الصوفية والتصوف. علم من العلوم الشرعية الحادثة في الملة واصله أن طريقة هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الأمة...واصلها العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى وإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها وقبلاته اشتق من الصوف وهم في الغالب مختصون بلبسه لما كان عليه من مخالفة الناس فلقد اختص هؤلاء بمذهب الزهد والانفراد عن الخلق والإقبال على العبادة. ينظر عبد الرحمن ابن خلدون. المقدمة مراجعة سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،بيروت،لبنان،1421هـ/2001م،ص61."

[2]–عطية مخزوم الفيتو ري، المرجع السابق ،ص108

[3]–محمد عبد الحليم رجب، المرجع السابق،ص10

دور الملثمين في نشر الإسلام.

لقد انتشر الإسلام في البداية في شمال إفريقيا، بحيث لم يأت القرن الثاني هجري حتى كانت بلاد المغرب قطرا إسلاميا خالصا وكانت الصحراء الكبرى تحد بلاد المغرب من ناحية الجنوب، ويسكنها قبائل الطوارق أو الملثمين ويلي هده الصحراء بلاد السودان.

ولكي يصل الإسلام إلى غربي إفريقيا كان لابد أن ينتشر أولا بين قبائل الطوارق، ثم يتسرب من خلالهم، وقد بدأت المحاولات الأولى لنشر الإسلام بين ديار الملثمين في ولاية عقبة ابن نافع الفهري الثانية 63/60هـ في عهد بني أمية، اد استطاع هذا القائد أند يتدفق بقواته إلى المغرب الأقصى، ثم هبط جنوبا إلى إقليم السوس الأدنى، ثم واصل تقدمه حتى وصل إلى مدينة تارودنت، وتذكر بعض الروايات انه وصل إلى بلاد غانة والتكرور.

كان عقبة أول من دعا الملثمين[1] إلى الإسلام كأول عربي مسلم يرتاد هذه الأقاصي، ولما جاء موسى بن نصير فاتح الأندلس أتمما بدأه عقبة فقد وصل إلى مواطن الملثمين، ودعاهم إلى الإسلام وانشأ مسجدا في مدينة اغمات التي غدت من أهم مراكز الإسلام وثقافته في المغرب الأقصى.

وعندما قامت دولة الادارسة في المغرب الأقصى 172-373خ/788-983وحدوا بين السهول الساحلية وإقليم المراعي، كما وحدوا بين قبائل صنهاجة ووجهوا أنظارهم إلى نشر

---

[1]-***الملثمين***. نسبة إلى اللثام التي هي سنة لم يتوارثونها خلفا عن سلف وسبب دلك على ما قيل أن حمير كانت تتلثم لشدة الحر والبرد يفعلها لخوص منهم، فكثر دلك حتى صارت تفعله عامتهم، وقيل كان سنة أن قوما من أعدائهم كانوا يقصدون غفلتهم ادا غابوا عن بيوتهم فيطرقون الحي في اخدون المال والحريم، فأشار عليهم بعض مشايخهم أن يبعثوا النساء في زى الرجال إلى ناحية ويعقدوا هم في البيوت متلثمين في زى[1]-الملثمين. نسبة إلى اللثام التي هي سنة لم يتوارثونها خلفا عن سلف وسبب دلك على ما قيل أن حمير كانت تتلثم لشدة الحر والبرد يفعلها لخوص منهم، فكثر دلك حتى صارت تفعله عامتهم، وقيل كان سنة أن قوما من أعدائهم كانوا يقصدون غفلتهم ادا غابوا عن بيوتهم فيطرقون الحي فياخدون المال والحريم، فأشار عليهم بعض مشايخهم أن يبعثوا النساء في زى الرجال إلى ناحية ويعقدوا هم في البيوت متلثمين في زى النساء...فلزموا اللثام بتركابه بما حصل لهم من الظفر بالعو. ينظر أبو العباس احمد بن خالد الناصري. الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى. من تحقيق جعفر الناصري، محمد الناصري،،ج2دار الكتاب الدار البيضاء،1954م،ص،ص4،3.

الإسلام فكانوا أشبه بالدعاة منهم بالولاة، فانتشر الإسلام في إقليما لواحات بعد أن أصبحت مضارب الملثمين القريبة من جبال أطلس وتعرف بجبال درن خاضعة للأدارسة وجزءا من أملاكهم، وقد أدى إسلام قبائل الملثمين في القرن الثالث الهجري، إلى قيام حلف قوي جمع بين قبائل صنهاجة لمتونة وجدالة ومسوفة بزعامة لمتونة، ويسعفنا ابن حوقل ت367هـ/1977مبشيء من التفصيل عن الحلف في النص التالي، والدي نقله عن شاهد عيان. وكان ملك صنهاجة يلي أمرهم مند عشرين سنة، وانه لا يزال في كل سنة يرد عليه قوم منهم زائرين له، لم يعرفهم ولا يسمع بهم ولا مقيلهم، قال، ويكونون نحو ثلاثمائة ألف بيت من بين نواله وخض.

وكان هذا الحلف يشير إلى موجة من التوسع صوب الجنوب، لنشر الإسلام بين القبائل الزنجية بالسودان الغربي[1]فقد استطاع تيولوت ان زعيم هذا الحلف أن يحمل راية الجهاد، ودان له معظم ملوك السودان الغربي، واستولى على مدينة اودغشت، التي كانت محطة رئيسية لقوافل الصحراء، واتخذها عاصمة له بعد أن خلصها من يد ملك غانة الو ثنى، إلا أن هذا الحلف انحل وتفكك.

وبعد انحلال هذا الخلف نتيجة الخلاف بين قبائل صنهاجة دبت الفرقة بينها من جديد، ودام ذلك عدة عقود إلى أن قامت قبيلة لمتونة مرة أخرى في النصف الأول من القرن الخامس الهجري11مبلم شمل القبائل تحت زعامة احد رجالاتها الأمير محمد بن تيفاوت المعروف بتارشتا، وقد مثل ذلك آخر تجمع لقبائل صنهاجة قبل قيام حركة المرابطين.[2]

لم يستمر هذا التجمع طويلا، اد يفهم من المصادر انه لم يعد له كبير فعالية بعد استشهاد تارشتا، حيث انحصر الأمر في لمتونة وجدالة، ويبدو انه لما اختير الأمير يحيى ابن إبراهيم الجدالي ليخلف تارشتا في زعامة صنهاجة انصرف الاهتمام إلى ما يمكن أن نسميه بالأوضاع الداخلية لهده القبائل، فقد دهب هذا الأمير في رحلة طويلة إلى الحج دامت حوالي 3سنوات، واصطحب معه فيها نخبة من رؤساء العشائر من قومه، وأثناء

---

[2]–البكري، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ،مكتبة المثني، بغداد د.س ص64

وجوده في بلاد المغرب تردد على مجالس العلم، الأمر الذي دعاه إلى إعادة النظر في أحوال قومه الدينية والاجتماعية المتردية.[1]

وبعد موت الأمير يحيى ابن إبراهيم أصبح عبدا لله ابن ياسين[2] بلا معين، وفقد الحماية التي كان يبسطه عليه زعيم جداله ورئيس الحلف الصنهاجي، وأصبح وجوده غير مرغوب فيه، لتشدده في تنفيذ التعاليم الإسلامية، ولاختياره يحيى بن عمر اللمتوني خلفا ليحيى ابن إبراهيم الجدالي، فنقل الزعامة بذلك من جداله إلى لمتونة. ولهذا كله رحل ابن ياسين إلى بلاد السودان الغربي.

وبعد استشهاد يحي عام 448هـ/1056م، أخذ ابن ياسين البيعة لأخيه أبى بكر وأقام كأنه، وتوجه لقتال برغواطة عام 451هـ/1059محيث استشهد ابن ياسين من جراح أصابته.

وبعد أن فرغ أبو بكر من السيطرة على قبائل الملثمين وأعاد الأمن إلى الصحراء رأى أن يوجه جهوده لمحاربة الوثنيين في البلاد انتهى هذا الدور بانتشار الإسلام في بلاد السودان الغربي على نطاق واسع، وفي هذا الدور انتقلت السلطة إلى أهل البلاد الأصليين الدين دخلوا الإسلام وتشربوا من ثقافته واقتبسوا من نظمه، وهو التطور نفسه الذي حدث في المغرب حينما انتقل السلطان إلى أهل البلاد أنفسهم، بل شهده كل قطر دخله الإسلام وتغلغل فيه.

ولكن الذي يلاحظ أن الجهاد الذي قام به البربر من خلال أحلافهم تلك لم يؤت نتائج حاسمة ولم يتمخض عنه تغيير جدري في وضع المنطقة، وقد يعود دلك إلى الوضع الهش لكيان تلك الأحلاف، اد كانت لا تدوم طويلا، كما سبقت الإشارة إليه، فكانت عرضة لأي خلاف بين القبائل يؤدي إلى إنهيارها. وكان لطبيعة فهم هذه القبائل للإسلام في تلك الفترات

---

[1]–ابن عذارى، احمد بن محمد، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب تحقيق، إحسان عباس،ط2،بيروت،دار الثقافة،1400هـ1980م،ج4،ص7--

[2]عبد الله بن ياسين. هو احد الفقهاء النابهين المتأثر بمبادئ المالكية وقد وصفه ابن أبي زرع بأنه من أهل الفطنة والدين والتقي والورع والزهد وقد اختلفوا في سنة وفاته فهناك من يقول انه توفي سنة451هـ،ومنهم من يقول أن وفاته هي450هـ.ينظر حمدي عبد المنعم. التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، دار المعرفة الجامعةن1997م،ص،ص44،39.

اثر في ضعف تحالفها، فلم يكن أفراد تلك القبائل يفهمون الإسلام الفهم الكافي حتى أنبعض الكتاب وصفهم بأنهم قبل قيام حركة المرابطين لم يكونوا يفهمون من الإسلام إلا الشهادتين .بدليل أن الأمير يحيى ابن إبراهيم الجدالي أثناء حضوره بعض مجالس العلم في بلاد المغرب أدرك ما كان عليه قومه من جهل لتعاليم الإسلام.

الحركة المرابطية.

تعتبر دولة المرابطين[1]إحدى الدول الإسلامية التي مشات في القرن 5هو11م في الحيز الجغرافي الممتد من غدامس شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا ومن جبال درن شمالا إلى أواسط الصحراء جنوبا حيث تحالفت 3 قبائل وهي لمتونة مسوفة وجداله، التي كان هدفها هو تنظيم تجارة القوافل عبر الصحراء المؤدية إلى السودان، فاتجه هؤلاء نحو الجنوب لنشر الإسلام فتم الاستيلاء على مدينة اودغشت الصحراوية ودلك في سنة447هـ، وبدلك استولت صنهاجة على مناجم الملح راحوا يقايضون الملح بالتبر مع القبائل الإفريقية السوداء[2] وهذا ما جعل دولة المرابطين في صراع دائم مع مملكة غانة.[3]والمقصود هنا هو أن اكبر عائق وقف في وجه المرابطين هو السكان الأصليين.

ويعتبر عبد الله بن ياسين هو المؤسس الروحي لهده الدولة أين قام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى تعاليم الدين الإسلامي_ بين أهله الملثمين المنتشرين في الصحراء لكنه فشل في ذلك فالتجأ جنوبا فاتحد رباط هو وإتباعه الدين تحولوا إلى دعاة

[1]-***المرابطين.*** هو الاسم المأخوذ من الرباط أي الخلوة التي اتخذها عبد الله بن ياسين ومعه سبعة تغرمن كدالة فأبتنا بها رابطة...فتسامع الناس بأخبارهم....فلم تمر عليهم أيام حتى اجتمع له من تلاميذه نحو ألف رجل من أشراف صنهاجة سماهم بالمرابطين للزومهم رابطته. ينظر ابي زرع القاسي. روض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة قاس. صور للطباعة والوراق .الرباط،1972م،ص125.

[2]-نجيب زبيب، الموسوعة العامة التاريخ المغرب والاندلسط1،دار الأمير للثقافة والعلوم،1415هـ-1995مج2،ص232

[3]-عصمت عبد اللطيف دندش، دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان1988م ص52

للدين الإسلاميين القبائل الوثنية بين أهل السنغال والنيجر وغيرها من بلاد إفريقيا جنوب الصحراء.[1]

ولقد توجه جهود هؤلاء الدعاة باعتناق ملك التكرور ورجابي الإسلام، وطبق أحكام العقيدة الإسلامية في مملكته مع رعاياه فاخذ على عاتقه مهمة الجهاد ما يليه من أهل السودان من اجل نشر الإسلام.[2]

بالإضافة إلى الدور الذي لعبه أبو بكر بن عمر الذي اتجه إلى الجنوب لنشر الإسلام بين قبائل الزنوج الوثنية وكانت هذه المدة حافلة باعتناق الإسلام خاصة في منطقة السنغال، حيث تحولت قبيلة الفولاني إلى الإسلام في سنة 469هـ في ين ضعفت غانة التي كانت تعاني التفكك والتجزؤ نتيجة استقلال بعض أقاليمها، وبدلك تمكن المرابطين وبمساعدة قبائل التكرور من دخول العاصمة كومبي صالح وفرض الإسلام على السكان حتى ان ملك غانة قد قبل الإسلام و الخضوع للسلطات المرابطين، ودخل معه رعاية في هذا الدين الجديد ودلك في سنة 469هـ.وبعد دلك استشهد أبو بكر بن عمر اللمتوني 480هـ1087م وبدلك أوقف بالإسلام على أبواب إفريقيا الاستوائية[3] وفي هذا الصدد قال صاحب الاستقصاء لإخبار دول المغرب الأقصى ولقد دوخوا تلك البلاد الصحراوي، وجاهدوا من بها من أمم السودان وحملوهم على الإسلام فدان به كثير منهم [4]وتفاهم آخرون بالجزية فقبلوها منهم .ومن بين الشعوب التي دخلت الإسلام بفضل المرابطين التكرور والماندنجو السونغاي[5].وكانت هده الشعوب ترتد من حين لآخر لتعود إلى الوثنية، فعمل المرابطين على إصلاح عقيدة المسلمين الدين اعتنقوا الإسلام قبله، لكنهم لم يلتزموا بأحكامه بالإضافة إلى تثبيت العقيدة الإسلامية في غرب إفريقيا.[6]

---

[1]–عطية مخزوم الفيتوري، المرجع السابق ،ص11فما بعدها.

[2]–عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق،ص150

[3]حسين مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام ،ط1الزهراءللاعلام العربي للقاهرة،1987م،ص372

[4]–أبو العباس احمد بن خالد الناصري، المرجع السابق ،ص5

[5]–شوقي عطا الله الجمل، عبد الرزاق إبراهيم ، المرجع السابق،ص101

[6]–يحي جلال، تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر،ط1،دارا لمكتب الإسكندرية،1999م،ص27

ومن بين القبائل التي لعبت دورا بارزا في نشر الإسلام نجد قبيلة السوننك التي كانت تختص بالعمل في الدعوة إلى الإسلام فقط، فأصبحت كلمة سوننك عند الماندنجو ترادف الداعي. وبذلك فان الشيء الذي نستنتجه من هنا هو أن معطى القبيلة قد ساهم ولعب دور كبير في نشر الإسلام.

حيث ذكرت بعض المصادر أن المرابطين هم أول من ادخل الإسلام إلى هده المناطق ويرجع دلك إلى القرن 5هـ/11م، ويثبت أن الإسلام قد انتشر بشكل واسع في منطقة غرب إفريقيا عامة في غانة بصفة خاصة فكتب البكري عن مدينة المسلمين التي بها12 مسجدا، ولها الأئمة والمؤذنون بها الفقهاء حيث اعتمد المرابطون في نشر الدين الإسلامي على دعاتهم بعدد تدريبهم في الرباط بمختلف العلوم الدينية ثم إرسالهم إلى القبائل الوثنية لترغيبهم في الإسلام، وفي هده المناطق تكون دعاة للإسلام الدين قاموا ينشر المدارس الإسلامية مع استعانتهما بالدعاة المرابطين لتعليمهم الشريعة والقران والكتابة.[1]

وهذا ما ينقض الكتابات التي تقول بان حركة المرابطين قد استخدمت أسلوب الترهيب أو القوة والعنف في نشر الإسلام.

الهجرات.

كان لتحركات القبائل وهجراتها سواء كانت عربية أم بربرية أم سودانية وزنجية دور كبير في نشر الإسلام وثقافته واللغة العربية في القارة الإفريقية، ومن أهم هذه الهجرات هجرات العرب إلى بلدان القارة المختلفة، وكانت مصر هي القاعدة والمنطلق الذي انطلقت منه هده الهجرات العربية غربا إلى شمال إفريقيا، وبلاد النوبة والسودان، وآدا كان العرب قد اجروا إلى البلدان الإفريقية في مختلف إنحاء القارة، وكان لهم أثرهم الكبير في نشر الإسلام ولغته وثقافته، وكذلك في إقامة سلطنات إسلامية، فقد كان لهجرات البربر اثر كبير أيضا في هده الميادين، وخاصة بربر صنهاجة، الدين كانوا يسكنون الصحراء الكبرى، واستطاعوا نتيجة لجهود داعية عظيم اشرنا إليه وهو الشيخ عبد الله بن ياسين الجزولي.

[1]–عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق،ص88

وقد وفد كثير من قبائل البربر الأخر إلى هده البلاد مهاجرين إليها، واستقروا فيها وانشئوا المدن والمراكز التجارية مثل مدينة اودغشت ومدينة تمبكت وغيرهما.

كما هاجرت قبائل من البربر مند ما قبل الإسلام إلى حوض بحيرة تشاد وأقامت دولة تسمى دولة الكانم والبرنو، ولم يلبث ملوك هده الدولة إن اعتنقوا الإسلام في أواخر القرن الحادي عشر للميلاد، وظلوا يحكمون هده البلاد وينشرون الإسلام فيها حتى القرن التاسع عشر[1].

وتجدر الإشارة الى أن قوام هده الهجرات قبائل البربر سكان الشمال الدين تبنوا الإسلام مند عهد مبكر.[2]

فمعطى الانفتاح والتبادل الحضاري أنا اعتبره انه هو العامل الأساسي وراء نشر الإسلام والثقافة الإسلامية، فالصورة التي يتركه العنصر الوافد هي التي تترك تأثير على العنصر المحلي وتقبله لمفاهيم جديدة قد أحدثت في بيئته، وهنا يكمن دور الهجرة في نشر الإسلام وتقبل مبادئه.

مسالك انتشار الإسلام:

اختار الإسلام خلال تقدمه نحو أفريقيا مسلكين. هما.

أولهما شرق افريقيا: وهو طريق باب المندب المحاذي لساحل شرقي إفريقيا، حين كان المسلمون يعبرون البحر الأحمر للتوجه نحو الصومال والحبشة والزنجبار. وكان الاتصال بين هده المناطق الإفريقية وشبه الجزيرة العربية مباشرة، وتبعا لدلك كان شرقي إفريقيا متأثرا في شؤون دينه بمناطق الخليج العربي، ويتجلى دلك في انتشار المذاهب الفقهية والطرق الصوفية التي كان يتمذهب بها سكان الجزيرة.

[1]–الموسوعة الإسلامية الموثقة ،المرجع السابق 45/10/90،2017 :15.

[2]حمدي عبد الرحمان حسن ،محمد عاشور مهدي، الإسلام في إفريقيا، من الإرث الاستعماري الى تحديات العولمة،دن،د ،د ب،ص76.

ثانيهما شمال وغرب افريقيا: اتخذه الإسلام للدخول في شمالي وغربي إفريقيا، وهو بيت القصيدة هنا، وهو معبر سيناء الذي اختاره عمرو بن العاص رضي الله عنه لفتح مصر، ولما استتب الأمر لجيوش الإسلام بأرض الكنانة تطلعت إلى فتح شمالي إفريقيا، حيث اتجهت صوب برقة فتونس فالجزائر ثم المغرب، وتراخت الدعوة في شمالي إفريقيا برهة من الزمن بحكم أنها ظلت هناك بين مد وجزر، وما إن استقرت في المغرب حتى بدأت تتبلور في جنوبي الصحراء الكبرى.[1]

وقد مثلت مصر المدخل الشرقي للقارة الذي جاء عبره الاسلام وخصوصا إلى غربها.[2]

ويلاحظ أن معظم هده الطرق طرق تجارية، ولم تستخدم كمعابر للجيوش إلا في القليل النادر، مما يؤكد سمة الطابع السلمي لانتشار الإسلام في قارة إفريقيا. ومما يؤكد دلك أيضا أهل القارة أنفسهم سواء أكانوا من البربر أم من الزنوج والسودان هم الدين قاموا بنشر الإسلام، بعد أن وصلت الدعوة إلى بلدانهم والى ما ورائها من بلدان.

وفي الأخير ومما سبق نستنتج أن انتشار الإسلام بغرب إفريقيا بدا نتيجة الدعوة التي قامت بها الدول التي تأسست هناك، ولعل أهمها دولة المرابطين، الدين أرسلوا الدعاة إلى جهات كثيرة من القارة الإفريقية حتى وصلوا إلى الجابون، وأقاموا رباطا في كل مكان حلوا به.

ومما ساعد على انتشار الإسلام كذلك الحياة القبلية، فإسلام احد أمراء القبائل يشجع كثيرا من الأفراد على اعتناق الإسلام، وان حركة القبائل مناجل الرعي أو اندفاعها نحو الجنوب نتيجة الضغط الحاصل من الشمال يجعل هده الحركة على تماس مع قبائل أخرى، فينتشر بينها الإسلام، لدا فان انتقال الإسلام نحو الجنوب كان بسبب حركة القبائل وانتشار الدعاة، وبدلك ازدادت نسبة المسلمين بالقارة ولولا التدخل الأجنبي الاستعماري وحركته التبشيرية لكان الإسلام

[1] Library.islamweb.net/10/09/2017.15 :45 .

[22]مجاهد حورية توفيق، قراءات، تاريخ انتشار الإسلام في إفريقيا الأبعاد والوسائل، العدد السادس،2013م ص17.

قد عم كامل القارة، وحسب رأيي فان المطبث أو العائق المحوري والرئيسي وراء الحد من المد الإسلامي هو الاستعمار الحديث.

المبحث الثاني: بزوغ فكرة الجهاد.

يعتبر القرن 19م مجالا خصبا للدراسات التاريخية المتعلقة بغرب إفريقيا ففيه ظهرت فكرة الجهاد لنشر الإسلام. وتطورت تطويرا كبيرا، ولم تعد هده الحركة قاصرة على نشر الإسلام ومحاربة الوثنيين، وإنما أصبح هدف روادها التصدي للأطماع الأوربية الاستعمارية، وفي هذا القرن أيضا نمت التجارة في إفريقيا وتطورت تطورا كبيرا وازداد الاتصال بالقارة الأوربية، وحلت التجارة الشرعية محل تجارة الرقيق، كما شهد ق19متم تأسيس ممالك إسلامية كبيرة، مثل إمبراطورية الفولاني والتكرور، وإمبراطورية ساموري العسكرية، وفيه أيضا تم تقسيم القارة الإفريقية بعد مؤتمر برلين 1884م/1885م بين الدول الأوربية مما ترتب عليه نشوب صراع عنيف بين الدول الغازية والزعامات الإفريقية .*1*ومن هنا يتضح لنا أن الفتيل الذي كان سبب وراء إشعال نار الجهاد هي المفاهيم الخاطئة حول الإسلام ومحاولة تصحيح هذه المفاهيم، إلى جانب مؤتمر برلين و الحركة الاستعمارية الحديثة.

وانطلاقا من هنا فقد تميز هذا القرن بظهور فكرة الجهاد لنشر الإسلام وتصحيح العقيدة الإسلامية التي اختلطت في كثير من المناطق بالطقوس الوثنية.

وقد شملت هده الفكرة وتجسدت في أماكن متعددة، وفي أوقات مختلفة، وكانت الفكرة الأساسية لدى روادها هي إنشاء حكومات إسلامية تحكم المسلمين في غرب إفريقيا، وتعمل على نشر الدين الإسلامي.[2]

---

[1]– الهام محمد علي هني، جهاد الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا ضد الاستعمار الفرنسي1850–1914م،ار المريخ للنشر ،الرياض،1408هـ،1988م،ص36

[2]Cann ;l ;h :colonialism in Africa 1870–1960.cambridge 1969;p199.

ويمكن اختصار أسباب ظهور ونمو فكرة الجهاد إلى عدة أسباب منها.

-اختلاط العقيدة الإسلامية بطقوس الوثنية، فانتشرت عبادة الموتى، وتقديمهم حتى بين المسلمين في كثير من مناطق غرب إفريقيا.

-تعلم بعض الزعماء الأفارقة وتلقيهم لتعاليم الدين بالأزهر الشريف مما كان له اثر كبير عليهم، فعادوا إلى بلادهم، وكلهم حماس لنشر الدين الإسلامي، وتصحيح العقيدة الإسلامية، فالأزهر لم يقف عند البلاد المجاورة لمصر بل تخطاها إلى مراكز مختلفة بإفريقيا، فقد انتشر عن طريق النوبة إلى إقليم دارفور، وكر دفان ودخل مملكة كانم المتصلة ببحيرة تشاد، بل تخطاها إلى بلاد الهوسا، وظل الأزهر مفتوحا لمدة قرون للمسلمين من غرب إفريقيا، ومن كل مكان .

فتدفق عليه الأفارقة للتعليم وقد غرس الأزهر في نفوس الوافدين إليها ألوانا من المعارف والاتجاهات القومية، وكان الأزهر يعد القادة ليتولوا مراكز القيادة .بمعنى أن الانفتاح والتبادل العلمي والحضاري بين الأقاليم المجاورة كان محرك للتوجه نحو تصحيح المفاهيم الخاطئة حول الإسلام، وإعادة السكان الأصليين إلى المسار الصحيح.

-انتشار المراكز الإسلامية في السودان الغربي، مما أدى إلى إبراز فكرة الجهاد وانتشارها.

-انتشار الطرق الصوفية .مثل القادرية، والتيجانية و السونسية، وقد حرص أتباع هده الطرق على نشر الإسلام بين الوثنيين .

ثم نادوا بعد دلك باستخدام القوة والعنف ضد الغزو الأوربي للمنطقة. والملاحظة التي لابد من الإشارة إليها هنا هو أن هده الطرق هي من أدت إلى انتشار الإسلام في شكل جماعة

-**مراحل الجهاد:** بمعنى أن مرحلة الجهاد قد مرت بمرحلتين وهما:

-**المرحلة الأولى:** جهاد ضد الوثنيين.

-**المرحلة الثانية:** جهاد ضد الأوربيين.

أدى قيام الزعماء الأفارقة بأداء فريضة الحج إلى تأثرهم بالدعوة الوهابية التي نادى أتباعها بالجهاد لإصلاح أحوال المسلمين والقضاء على كل ما يتعارض مع مبادئ الإسلام من البدع والخرافات .[1]

فالحج قد اعتبر من أهم الفرائض عند مسلمي غرب إفريقيا، فقد أدرك الفرنسيون خطورة هذه الفريضة بدليل ما قاله الحاكم العام بونتي، بان هده الفريضة تحدث تشويشا في أذهان الأفارقة وتبدل نفسهم لالتقائهم بإخوانهم المسلمين فتقوى فيهم روح التضامن الإسلامي والثورة ضد الفرنسيين.

ويلاحظ أن دعوة الجهاد لم تقتصر على منطقة معينة، بل امتدت في كل الغرب الإفريقي، ونتج عن انتشارها ثورة عنيفة، شملت جميع جوانب الحياة السياسي والثقافية والدينية.[2]

وترجع أهمية فكرة الجهاد إلى نجاح المسلمين في محاربة الاستعمار الأوربي بمعنى مدى النتائج التي حققها هذا الجهاد .

فقد اعتبر المسلمون أن محاربة القوات المسيحية هو نوع من الجهاد في سبيل الله ودلك اعتبروا الأوربيين أعداء لهم، وربما لزعماء الممالك الإسلامية أطماع سياسية ورغبة في المحافظة على دولهم، إلا أنهم نجحوا في إثارة الشعور الديني لدى الأفارقة ...ففرنسا على سبيل المثال والتي كان لها نصيب الأسد في مستعمرات غرب إفريقيا، واجهت مقاومة عنيفة في كل منطقة تقدمت فيها بقواتها العسكرية والدليل على ذلك أن القواد العسكريين الفرنسيين، اعتبروا أن الإسلام والممالك الإسلامية العقبة الوحيدة أمام تقدمهم في المنطقة.

وتستدل على ذلك مما كتبه فيد هرب حاكم السنغال عن معاركه ضد مسلمي التكرور التابعين لها. بقوله أنهم يندفعون نحونا كما لو كانوا يريدون الاستشهاد[3]فحسب

---

[1] Cambridge history of Africa from 1790 to1870 ;great Britain 1976 ;vol.5; ;p126

[2]لوثر وبستودارد،،حاضر العالم الإسلامي ،دار الفكر،ج3،،1971م ص219.

[3]Forester ;kanya.theconuestof the western Sudan ;Cambridge ;1969 ;p.37

رأيي أن هذا هو اكبر دليل على مدى تشبع مسلمي غرب إفريقيا بتعاليم الدين ومدى جاهز يتهم واستعدادهم للتضحية في سبيل الإسلام وهذا نتيجة قوة الإيمان وهكذا مثلت القوة العسكرية الإسلامية اكبر عقبة أمام التقدم الأوربي .وكان مجرد إعلان زعيم من الوطنيين الجهاد، والحرب معناه تكتيل الجهود واستتباب العديد من السكان حوله، ولذلك كان من المتعذر على قادة هده الحركة التعاون مع الأوربيين أو تقبل السيادة الأوروبية، لأنه كان من المحتم عليهم المحافظة على استقلالهم السياسي وحماية عقيدتهم، وأخيرا ينبغي الإشارة بان هده الفكرة لم تكن وليدة ق19م، وإنما ظهرا قبل دلك، ولكن ترجع أهمية ظهورها في هذا القرن إلا أنها نمت في الوقت الذي تطلعت فيه الدول الأوربية لغزو المنطقة ولدلك أصبح لها طابع جماعي بحيث أننا نجد كل زعيم وطني كان يحدو حذو غيره في إعلان الجهاد.[1]

الاستعمار والمقاومة الإسلامية في غرب إفريقيا.

كانت حركات الجهاد التي اندلعت وصادفت مجيء الاستعمار الأوروبي وفتوحاتها لمنطقة الغرب الإفريقي في بداية ق19م بمثابة الميلاد الحقيقي للحماس الديني والوعي السياسي والتضامن بين شعوب تلك المنطقة المسلمة، أظهرت المجتمعات الإسلامية استعدادا كاملا للانقياد لتوجيهات دينية بزعامة رواد تلك الحركات تحت راية الجهاد بغية إصلاح أحوالهم الاجتماعية والدينية ومقاومة السيطرة الاستعمارية ونقودها المسيحي على تلك المجتمعات، أوجدت تلك الحركات روحا ثوريا ونشاطا فكريا في كثير من القطاعات الاجتماعية من هنا وهناك .

ومن ثم تواجد الاستعداد لدى جماهير المسلمين للدفاع عن دينهم وتثبيته، والمحافظة على قيمته الأخلاقية، والاجتماعية، والسياسية على وجه الذكر الاستعمار الأجنبي. الدخيل، وانطلاقا من هذا المضمار وأصالة عن الرغبة الطوعية لمسلمي المنطقة في الامتثال

[1]–Crowder ;Michael :west africaresternce ;london1973 ;p.53.

للتوجهات القرآنية، والسنة النبوية المطهرة في تسيير شؤونهم تقوت شوكات دعاة الإصلاح الديني، وارتقت الروح المعنوية فيهم لتحدي ذلك الوجود الاستعماري ومواجهته ندا بند.[1]

ولم تقتصر دعوة الجهاد على منطقة معينة، بل امتدت في كل الغرب الإفريقي، ونتج عن انتشارها ثورة عميقة وشملت جميع جوانب الحياة السياسية، والثقافية والدينية.[2]

بمعنى أن توضيح المفاهيم الإسلامية لدى السكان أدى إلى تعبئة جيدة وتوضح معنى الجهاد لديهم، إلى فهذا الجهاد كان هو الرابط الأساسي والعامل وراء توحيد هده القبائل ومن خلال دلك فان الدعوة الإسلامية في غرب إفريقيا. قد لاقت نجاحا باهرا تمثل دلك في الدور الكبير الذي لعبه الإسلام في تقدم البلاد الحضاري والاجتماعي والثقافي في كل ربوع المنطقة حيث ظهر فيها التأثير الحضاري الإسلامي العربي ويمكن أن نقول أن تاريخ هده المنطقة يبدأ بظهور الإسلام لأنه قبل الإسلام لم يكن هناك وجود لأي اثر حضاري.

[1]–عثمان برايما باري ،المرجع السابق، ص226.

[2]للوثر ستودارد، المرجع السابق ،ج2،ص219

الفصل الثاني

إمبراطورية الماندجو تأسيسا وتطورا

تمـــهيد

المبحث الأول : التعريف بحياة أو بشخصية ساموري توري.

1–مولد ونشأة الإمبراطور ساموري توري.

2– مراحل حياة ساموري توري.

المبحث الثاني: تأسيس إمبراطورية الماندجو وعوامل قيامها

1– – استراتيجية ساموري توري في بناء دولته.

2–مراحل تطور إمبراطورية ساموراي توري.

الفصل الثاني: إمبراطورية الماندجو تأسيسا وتطورا.

الإسلام دين ولآد تميز منهجه عن غيره بقدرته الفائقة على إنتاج الرجال والقادة والإبطال قادة في كل المجالات ومثل الإسلام بمنهجه ومحتواه العقائدي والحركي والسلوكي أعظم معين لإخراج الأجيال المتعاقبة والكوادر الرائدة وهذه الحيوية مكنت الإسلام من إقامة دولته في شتى بقاع الأرض والاستمرار في مواجهة المتغيرات والظروف الاستثنائية.

ومن أعظم ما تفرد به الإسلام كدين ودولة وجود الكثير من الإبطال والقادة عبر التاريخ من العرب والعجم والبربر والسودان فلم تكن البطولة والقيادة حكرا على العرب الدين خرجت من أراضهم الرسالة المحمدية بل نبغ الكثيرين من غير العرب وهده قصة واحد منهم وهو القائد الإسلامي الكبير ساموري توري مؤسس دولة الإسلام في غينيا وغرب إفريقيا.

المبحث الأول: التعريف بحياة أو بشخصية ساموري توري.

ولد ساموري في سانكرو في جنوب شرق كنكان في اغلي حوض نهر ميلو احد روافد النيجر، ولكن اختلف الباحثون في تاريخ مولده، ولكن من المرجح بأنه يقع بين سنتي 1830م-1835م، وقد تلقى ساموري تعليما دينيا على يد والده لا فياتوري وأكمل تعليمه الديني على يد احد المرابطين، [1]وعندما بلغ 18 عاما أرسله أبوه إلى صديق له بدولة ساحل العاج ليتعلم تجارة السلاح ومن خلال ذلك عرف ساموري أماكن الحصول على السلاح فبدا يفكر في بناء إمبراطورتيه ومن خلال هده المرحلة سافر إلى عدة مناطق في غرب إفريقيا فاطلع على نظام حياة عدة مجتمعات هناك، وقد وقعت حادثة لساموري كانت لها اكبر الأثر في نشأته العسكرية فقد حدث أن وقعت والدته في اسر احد الزعماء والدي يدعى سيزيهsiseعام 1851م، وكان على ساموري لكي يفك أسرها أن يعمل لعدة سنوات في خدمة جيش سيزيه فقبل ساموري بذلك. ومن خلال تلك المرحلة استطاع أن يتعلم طرق الدبلوماسية وفن التفاوض بين الزعماء كما تعلم فنون القيادة العسكرية بالاشتراك في حروب هذا الملك الوثني ضد خصومه الوثنيين كما استفاد ساموري من رحلة شهيرة قام بها إلى ساحل العاج تعلم خلالها التجارة واطلع على نظام حياة عدة مجتمعات هناك وتعرف على أوضاع المسلمين خاصة تلك القبائل المسلمة التي كانت تخضع للسلطات المسلم عمر الفوتي مما جعله يفكر في إحياء هده المملكة العظيمة التي كان لها دور كبير في نشر الإسلام في غرب إفريقيا .

وقد تأثر ساموري توري كثيرا بالحاج عمر وطريقته في إقامة دولة الإسلام في غرب إفريقيا .[2]

[1]دهني الهام محمد علي، جهاد الممالك الإسلامية، ضد لاستعمار الفرنسي 1850-1914م.دار المريخ ،الرياض ،1988،ص52

[2]يوسف الحلوى ،مغرس المساء/2017،15.45/10/19

ويمكن أن نقسم حياة هذا المجاهد إلى مراحل3.

المرحلةالأولى1835م /1852م:

قضى ساموري وقته في الدراسة وممارسة حرفة التجارة، وخلال هده الفترة أيضا سافر إلى مناطق كثيرة من السودان الغربي فازدادت مداركه واتسعت معلوماته عن المنطقة المجاورة، وصارت لديه خبرة بأحوال الناس وحرفهم.

وأما المرحلة الثانية فتبدأ في عام 1852م:

عندما حمل إليه احد الأصدقاء أنباء تفيد باختطاف والدته وعند سماع الخبر أخد يفكر في أفضل الطرائق لانقاد والدته من الأسر وبعد تدبر وتفكر قرر الذهاب إلى الملك سوري بيرا ما ليعوض خدماته نحوه مقابل الإفراج عن والدته وقبل الملك عرض ساموري على إن يعمل في جيشه مدة7 سنوات.

وكانت هده الفترة من أمتع فترات حياة ساموري حيث صار قائدا شعبيا وتدرب على فن قيادة جماعات الإغارة على القبائل الأخرى، وتعلم كيف يتفاوض مع أعدائه بأسلوب دبلوماسي وبعد فترة من الزمان أحس بضرورة الاستقلال عن سيده خصوصا عندما كون من أفراد عائلته نوايا له، فاضطر إلى الهرب في عام 1861م وترك كل ممتلكاته واتجه إلى جبال جيب.

وتنتهي المرحلة الثانية في عام 1882م وفيها تكتمل شخصية هذا الزعيم بعد أن انشغل في أعمال ضخمة وجمع حوله عددا كبيرا من الشباب الدين وجدوا فيه قائدا يمكن أن يجمع شملهم في دولة إسلامية مجاهدة ضد ما حولها من الوثنيين .

وأما المرحلة الأخيرة من حياته 1882م/1898م:

فهي مرحلة البناء والتوسع وبناء الدولة الإسلامية ومقاومة التوسع الأوروبي الفرنسي الذي حاول القضاء على الإمبراطورية التي قضى حياته في بنائها ولدا نجد أن هده الفترة مليئة بالبطولات والأحداث الجسام في حياة هذا المجاهد الإسلامي في سبل الدين والوطن

ضد الغزو الأوروبي الذي يسعى لتدمير الحضارة الإسلامية تحت شعار إدخال الحضارة الأوروبية.[1]

ويمكن اختصار **شخصية ساموري توري** .

كان ساموري رجلا عبقريا، حاضر البديهة، وتكمن عظمته في عبقريته الاستراتيجية التي كشفت عن نفسها خلال 25 عاما من النضال والمواجهة ضد الأعداء واستطاع أن يجمع شمل قبائل متناثرة، واستطاع أن يوحد كل هده الجماعات تحت راية الإسلام وكون امة حديثة أخذت بكل أساليب التقدم والرخاء، وأقام مجتمعا إسلاميا وطبق الشريعة الإسلامية بعد أن حول كل فئات هذا المجتمع إلى هذا الدين الحنيف .

ويكفي هذا المناضل الإفريقي انه استطاع أن يحكم منطقة واسعة من السودان الغربي، ولم ينشر الدين الإسلامي فقط بين القبائل الأفارقة بل غرس في نفوس الناس روح العداء ومقاومة التوسع الأجنبي وولد في نفوس الشعب روح التضحية والفداء حتى رحل المستعمر عن إفريقيا.

ويقول الجنرال ورستبارات ير orestebaratiere[2] أن ساموري اظهر تفوقا على كل زعماء السودان في القارة الإفريقية حيث الوحيد الذي أعطى الدليل على صفات الزعيم، وحيث كان سياسيا محنكا، وقائدا يمتلك الطاقة والقدرة على وضع الخطط الحربية التي يصعب تدميرها، وانه آدا فقد جزءا من الأرض فانه لم يغادر الموقع إلا بعد أن بكبد الفرنسيين خسائر فادحة، وكان يعوض خسارته في الغرب بالاستيلاء على أجزاء مضاعفة من الشرق، وهده استراتيجية كبرى لقائد مسلم رفض الاستسلام بسهولة. ولم يكن ساموري عبقرية عسكرية فحسب، بل كان أيضا دبلوماسيا بارعا، يتضح دلك من علاقاته بالحكام الأفارقة الآخرين وبالسلطات الفرنسية.[3]كون سامراي جماعة تولى رأستها بنفسه واقسم على

[1] عبد الله عبد الرزاق إبراهيم ،لمسلمون والغزو الأوروبي لإفريقيا، عالم المعرفة،الكويت،1989م. ،ص125

[2] مورست بارتير ،1889 جنرال ايطالي هزمه الإثيوبيون في معركة عدوه adwa

[3] إبراهيم عبد الله عبد الرزاق ،المرجع السابق ،،ص178-179

بناء دولة إسلامية في تلك المنطقة ثم قام ساموري بتدريب رجاله على فنون القتال وتم تسليحهم ومن ثم بدا نفوذه يمتد.

وقد اعتمد في بناء دولته على الاستراتيجية التالية.

توحيد القبائل الإفريقية

في عام1874مبدا الغزو التدريجي لكل القوى ا لمجاورة لعاصمته وتحالف مع المسلمين في مدينة كانكان وبهذا استطاع أن يهزم جماعات مهمة من القبائل وازدادت سيطرته على كافة قوتا جالونو نجح في تحطم كل القوى المنافسة له وصار اكبر قائد لإمبراطورية إسلامية عرفها شعب المالينك في 25 من يوليو سنة 1884م جمع ساموري توري أهله في احتفال وأعلن انه سيلقب نفسه بلقب الإمام وطلب من أهله ورعاياه أن يعتنقوا الإسلام، وفي نوفمبر من العام نفيه منع الخمر شربا وبيعا في مملكته، ومنع العادات الوثنية وبدا بتطبيق الشريعة الإسلامية .

كان الفرنسيون قد عزموا على الاستيلاء على كل المنطقة التي يجري فيها نهر النيجر فأتاهم الله بهذا البطل ساموري توري الذي كبدهم من الخسائر في الأموال والرجال مالم يتوقعوه حتى أنبيروز peroz وهو من كبار عساكر الفرنسيين لقبه بنابليون السودان وهذا البطل العظيم هو في الحقيقة فوق هذا اللقب بكثير فقد دوخ الفرنسيين بجهاد جليل دام 13 عاما بالرغم من بدائية أسلحته أمام آلة الحرب الفرنسية الجبارة .[1]

بمعنى أن الإيمان الحقيقي هو العامل الأساسي الذي ساعده على تجاوز كل العقبات، فمع حلول سنة1891م، أصبح ساموري توري على رأس دولة إسلامية امتدت رقعتها من اوديبني غربا إلى بونا شرقا، وبالموازاة مع جهاده وتصديه للغزاة الفرنسيين، لعب ساموري توري دورا رائدا في الفكر والثقافة العربية الإسلامية، وفي القيام بإصلاحات سياسية عن طريق الاستعانة، بالنظم العربية الإسلامية في الحكم والإدارة وكل مظاهر السيادة الدينية والمدنية العسكرية .

[1] ويكيبيديا ،ساموراي توري،10.19.29/09/2017

إنشاءه الجيش.

انشأ ساموري توري جيشا قويا نسبيا قسمه إلى 3 أقسام على النحو التالي.

أفضلها وأعظمها قوة جعلها قائمة في وجه الفرنسيين ليمنعهم من التدخل في البلاد.

القسم الأول: ذات البنادق سريعة الطلقات، وهدفها محاربة الفرنسيين والتصدي لهم.

القسم الثاني: كان مسؤول عن حراسة وحماية المواطنين.[1]

القسم الثالث: جعله للتوسعات والفتوحات الجديدة للقضاء على الوثنية ونشر الإسلام وبالغ من حرصه على جيشه انه استطاع أن يصنع بعض الأسلحة وقطع الغيار محليا وباقي الأسلحة يشتريها من مدينة قريتون بسيراليون.

إضافة إلى انه تمكن ممن تكوين جيش قوي ينقسم إلى فرقتين، المشاة التي وصل تعدادها حوالي 35000سنة1887م، والخيالة التي بلغ تعدادها300 في تلك الفترة، إضافة إلى حوالي 6000 بندقية لكن عدم اكتسابه للمدفع حال دون تمكنه من مواجه القوات الامبريالية الفرنسية في بعض المعارك، وتذكر المصادر أن ساموري توري قد تميز بذكائه الشديد بحيث كان يخطط تخطيطا محكما قبل أية مواجهة مع العدو، فدراسة نقاط قوة وضعف العدو، كانت من أولوية الأولويات وعلى هذا الأساس، لم يغفل هذا الزعيم مسالة الجوسسة على العدو بحيث طور جهازا أوكلت إليه مهمة التجسس على العدو وجمع كل المعلومات الخاصة به.[2]

وقد فرض ساموري توري على زعيم كل قرية أن يأتيه بمجموعة من الشبان الصالحين للجندية وفي أوقات السلم كانت القوات الاحتياطية تسرح 6 أشهر لتعمل في فلاحة الأرض وإجراء المنافع لتعود بعد دلك فان كان في حاجة لها أبقاها وإلا سرحها مدة أخرى وهكذا قسم ساموري توري بلاده تقسيما إداريا منضبطا إلى اثنين وستين ومائة إقليم في كل منه 20

[1] الهام علي محمد دهني، المرجع السابق ،ص55.

[2] منصف بكاي، ساحل العاج بين بناء الدولة الحديثة ومقاومة الامبريالية الفرنسية ، ضياء للمؤتمرات والدراسات ،ص6.

قرية على كل منها زعيم وفوق الزعيم حاكم الإقليم وفوق حكام الأقاليم الإمام الذي من مهامه نشر الإسلام والقضاء على الوثنية وتقوية الدولة والمحافظة عليها .[1]

وقد أكثر ساموري توري رحمه الله من بناء المدارس والمساجد ونشر الوعائظ واهتم بتحفيظ القران الكريم.

وفي الأخير ومما سبق يمكن القول أن الأمام ساموري توري قد جمع من صفات الزعامة والقيادة ما يؤهله لتكوين دولة إسلامية كبيرة ذات صبغة عسكرية، تقوم على مبدأ الجهاد، فهو زعيم مهاب الجانب، ومسلم يؤمن بالإسلام دينا وشريعة ومنهج حياة، ويؤمن أيضا بالجهاد كفرض على كل مسلم لإعلاء كلمة الله، وتطهير غرب إفريقيا من رجس الوثنية التي ظلت بقاياها موجودة في بلاد الهوسة حتى القرن 13هـ/19م، ومن تسلط الفرنسيين وغيرهم من الأوروبيين الدين يعملون للقضاء على الإسلام، ومما يسترعي الانتباه في أسلوب ساموري الحربي انه كان يلجا إلى تخريب المدن والقرى التي يهجرها عند تتبع الفرنسيين له فكان لا يخلف ورائه سوى الدمار، وقد أفاده هذا الأسلوب فادى إلى طول مقاومته تلك المقاومة التي استمرت سنوات عديدة بعد أن قدرها الفرنسيون بعدة أسابيع فقط وقد سخر ساموري قواته العسكرية للقضاء على الوثنيين، ومحاربة الفرنسيين وساعده في دلك براعة جنوده ومقدرتهم العالي.

والجدير بالذكر أننا عند دراستنا لساموري نلاحظ انه لم يكن له برنامج محدد أو خطة معينة فيما يتعلق بحركة الجهاد التي أعلنها فكل ما نلحظه هو حماسه الشديد لنشر الإسلام وبناء المساجد ولدلك اختلفت حركته عن كل من عثمان دان فودي والحاج عمر بالإضافة إلى انه لم يعتنق أي طريقة صوفية كغيره من الزعماء الأفارقة.

[1] ;ويكيبديا، إمبراطورية الماندنجو،2017/09/10

المبحث الثاني: إمبراطورية الماندجو.

أراد ساموري تكوين إمبراطورية كبيرة تضم الماندنجو في المنطقة الواقعة عند أعالي النيجر ومنابعه ولدلك بدا في تنفيذ هدفه مند عام 1872م عندما اتخذ من بيساندوجو. عاصمة لدولته وفي عام 1873م تمكن من الاستيلاء على كنكانوبدا يتطلع لمد نفوده صوب باماكو، وشمال النيجر وقد أحاط بمملكته التكرور من الشمال الغربي والغرب ومملكة كينوجو في الشرق، ومن الجنوب سيراليون وليبيريا ولمتكن علاقة ساموري حسنة مع جيرانه، فاتسمت علاقته بالعداء مع مملكته كيندوجو، كما انه لم يحاول التحالف مع التكرور واعتبرهم منافسين له، أما في الجنوب فقد ارتبط بعلاقة صداقة مع التجار البريطانيين في كل من سيراليون وليبيريا .[1]

وفي عام 1874م تلقب ساموري بلقب فآما أي ملك.

ملك، ولجاء إلى إخضاع القبائل بالقوة وبسط سيطرته جيشا كبيرا منهم كذلك من أسرى حروبه، وكان يتولى اسر الأطفال، وتنشئتهم نشأة عسكرية، ولتدعيم جيشه قام ببيع الرقيق إلى التجار الأوروبيين في مقابل إمداده بالأسلحة الحديثة وخصص ساموري مبالغ طائلة لشراء الأسلحة، وانشأ المصانع لتطويرها وصنع قطع الغيار اللازمة لها. وفي عام 1881منقل ساموري عاصمته من بيساندوجو إلى جبلييه في الجنوب ودلك لمحاولة الاستفادة من اجمبوريه الغنية بالذهب والتي استغلها الحاج عمر من قبل لشراء ما يلزمه من الأسلحة، وركز ساموري نشاطه العسكري نحو الضفة اليمنى لنهر النيجر تجاه القرى الغنية بالخيول والملح فهاجم القرى الضعيفة، واستولى عليها واسر عددا كبيرا منهم وأجبرهم على العمل في خدمة جيشه.[2]ويمكن تقسيم دولة ساموري إلى 3 مراحل.

---

[1]Anderson gohn :west Africa ;east Africa in the nineteenth and twentieth centuries London 1972 . :p69

[2]دهني الهام محمد علي ا،لمرجع السابق ،ص54

المرحلة الأولى:

اتسمت ببناء مجتمع جديد، ودولة جديدة وذلك قبل عام 1884م.

المرحلة الثانية:

امتدت من 1885م إلى عام 1888م واتسمت هذه المرحلة بالصبغة الدينية وإعلان ساموري الجهاد لنشر الإسلام بين الوثنيين، وفتحه العديد من المدارس لتحفيظ القران والتوسع في إنشاء المساجد.

المرحلة الثالثة:

والأخيرة فتبدأ من عام 1889م حتى 1898م وقد اصطبغت بالصبغة العسكرية، وقد اصطدم ساموري بالفرنسيين طوال المراحل 3، ولكن اختلفت حدة هذا الصدام من مرحلة إلى أخرى فقبل عام 1884م اقتصرت العلاقة بينه وبين الفرنسيين على مجرد المناوشات العسكرية.[1]

ولكن بعد عام 1884م هاجم ساموري الفرنسيين بعنف .

وقد شملت إمبراطوريته العديد من الأسواق والتي كانت لها شهرة كثيرة مثل سوق كيمباي، ونورا، وكورسا. وكانت هده الأسواق مراكز هامة ربطت بعض أجزاء الإمبراطورية بسيراليون قوتاجالون.

كما اشتهرت سنساندج بأنها سوق كبير للحبوب أما كنكان فكانت من أشهر المراكز التي حصل منها ساموري على الذهب، والعاج، وداعت شهرة بيساندوجو، بأنها من أهم مراكز النسيج، والأسلحة وعرفت كينيا بأنها مركز تجاري هام للتجارة مع الفرنسيين في الملح.

أما بالنسبة للتنظيم العسكري فقد اعتمد ساموري على جنود السوفا فكان زعيم كل قرية مسئولا عن الأمن، وعليه تزويد الجيش بالمجندين من كل القرى، وكانت فترة الخدمة في

[1]Crowedermichael :west Africa under colonial rule-great Britain 1968 ;p36/

الجيش غير محددة، فيبقى المجندون فيه حتى يحل محلهم آخرون.[1]والجدير بالذكر أن النظام السياسي والإداري الذي طبقه ساموري توري يمكن مقارنته وبدون تحفظ إلى أقصى درجة بنظم الأمم أو الدول الحديثة .ولم يكن من الصدفة ما أقدم عليه هذا الزعيم الإفريقي في مجال وضع دعائم أو أسس الدولة بالمعنى الحديث في جميع المجالات سواء أكان المجال الإداري أو العسكري أو الاقتصادي وحتى المجالين الاجتماعي والثقافي، فقد تبنى هذا الزعيم ثقافة وطنية داخل الدولة التي أسسها بالاعتماد على الثقافة العربية الإسلامية كركيزة أساسية في تكوين شعور مشتركين أفراد المجتمع بتوحيد قبائله وتعميم تلك الثقافة على جميع القبائل لاسيما تلك التي كانت وثنية وعليه يمكن القول أن ساموري توري قد حقق وحدة القبائل بفضل فلسفته التي اعتمدت على تجاوز الأطر القبلية لصالح الدولة التي أسسها.

والعمل على تنمية شعور وطني والولاء للدولة على حساب الولاءات القبلية لصالح الدولة التي أسسها، والعمل على تنمية شعور وطني والولاء للدولة على حساب الولاءات الضيقة للجماعة القبلية أو الطائفية وغيرها من الولاءات التي تعرقل تطور الدولة التي أرسى دعائمها من جهة، والتصدي للغزاة الفرنسيين الدين كانوا يهددون دولته الفتية من جهة أخرى ومن بين الإصلاحات التي يمكن الإشارة إليها، هي تلك المتعلقة بالجانب الإداري الذي وضع له ساموري توري أسس نظام إداري يتركز على المركزية واللامركزية كتقريب الإدارة المركزية بالأقاليم عن طريق استحداث جهاز يتم عن طريقه تعيين محافظين أوكلت إليهم مهام مراقبة ما يجري في الأقاليم، وهذا على غرار ما فعله نابليون بونابرت في فرنسا.

أما الجانب الاقتصادي والاجتماعي، فقد تبنى ساموري توري إصلاحات مستمدة من التطم الاقتصادية العربية الإسلامية كفرض الزكاة، الخراج، استعمال المقاييس والمكاييل والموازين، إضافة إلى طرق استخلاص الضرائب للخزينة قصد توفير الموارد المالية اللازمة للإنفاق على المشاريع كبناء المدارس والمساجد.

[1]دهني الهام محمد علي، المرجع السابق ،ص55.

تملك مدينة بوندوكو الواقعة شرق ساحل العاج 52 مسجدا حتى أصبح يطلق عليها بالمدينة ذات 52 مسجدا وشراء الأسلحة لمواجهة الامبريالية الفرنسية التي كانت تخطط لضم البلاد إلى ممتلكاتها الاستعمارية.[1]أما في الجانب الاجتماعي، نلاحظ ان هذا الزعيم لم بهمل مسالة تحسين الظروف الاجتماعية لمقاتليه خصوصا ما تعلق بأولئك الجرحى الدين كانوا يستفيدون من منح مقابل الخدمات المقدمة للدولة.

أما في الجانب الدبلوماسي، فقد كثف ساموري توري من الاتصالات بالانجليز الدين كانوا يتاجرون بالمنطقة ويسيطرون على ساحل الذهب غانة اليوم، ونظرا لاشتراك غانا مع ساحل العاج في الحدود، وقع اتصال بين ساموري توري والانجليز الدين زودوه بالأسلحة النارية والخيول ليتمكن من التصدي لمخططات الفرنسيين الرامية إلى السيطرة على كل غرب إفريقيا .[2]وللإشارة أيضا فان النظام المالي في إمبراطورية الماندنجو فالواقع انه لم يكن لها نظام مالي محدد فالإمام اعتمد على ثروته الخاصة وعلى الهدايا التي يحصل عليها، وينفق على الإمبراطورية من حصيلة بيع المحصولان الخاصة بأراضيه والحقول المزروعة في كل قرية او عن طريق الاتجار بالأسرى وكانت حصيلة إنتاج دهب واسولو تستخدم لشراء الأسلحة.

أما عن النظام الديني فالإمام هو قائد المؤمنين يحرص على بناء المساجد وإرسال الاطفال إلى المدارس بانتظام وكان ساموري يشرف بنفسه على الدراسة حتى انه كان يختبر أولاده شخصيا مرتين في الأسبوع.[3] wasdulu وقد أطلقت فرنسا على مملكة ساموري الإمبراطورية المتنقلة، لأنه ك كان كلما فقد جزءا من مملكته عوضه بأجزاء أخرى من الممالك الوثنية المجاورة، فكأنه لم يفقد شيئا وإنما غير حدود مملكته، يهذا ظل الإمام المجاهد شوكة صلبة في وجه الفرنسيين، كبدهم فيها خسائر مهولة، ورغم الهزيمة يكفيه شرفا، انه أقام دولة نشرت الإسلام وحاربت الوثنية، ويكفيه انه وقف إمام دولة عظمى أنذاك

[1]وبوعزيز يحي،تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن 16م إلى مطلع القرن العشرين، دار هومة للطباعة والنشر،الجزائر،2001،ص171

[2]منصف بكاي،المرجع السابق .،ص5،ص6.

[3]الهام محمد علي دهني ، المرجع نالسابق،ص56

اداقها الهزيمة مرات عديدة، ووحد شعب الماندنجو بعد أن كان قبائل متناثرة وعشائر متناحرة. ومن أعظم مواقف الإمام المجاهد، هو أن الفرنسيين اختطفوا ولده وساوموه على رده بمساومات لم يرضها فلم يقبل، فاحدوه إلى فرنسا ست سنوات، واستطاعوا التأثير عليه، وغير أفكاره ليصبح منهجه مخالفا لمنهج أبيه وأرسلوه إلى أبيه ليقنعه بترك الجهاد، وهنا تجرد ساموري توري لله تعالى وعظمت عنده عقيدة الولاء والبراءة وقتل ولده في مشهد عام بين الناس حتى لا يؤثر على حركة الجهاد.

وفي الأخير نلاحظ مما سبق أن إمبراطورية الماندنجو تميزت بأنها كانت متحركة، فكان ساموري يتحرك فرارا من التقدم الفرنسي ولدلك كف عن بناء الحصون الكبيرة منذ أن عجز عن التصدي لنيران المدفعية الفرنسية فبعد أن استولى الفرنسيون على بيساندوجو اتجه ساموري نحو الغرب إلى الأراضي الداخلية لساحل العاج 1892م مكونا دولته الثانية الجديدة التي قضى عليها الفرنسيون في عام1898م.وقد كان تنظيم إمبراطورية الماندنجو من الناحية الحربية والإدارية كان أكثر دقة مما صادفناه في إمبراطورية التكرور، ولعل دلك هو السبب الذي جعل مقاومة ساموري للفرنسيين أكثر عنفا إلى جانب الممالك السابقة التي ظهرت في غرب إفريقيا في القرن 19م، ولكن الغزو الفرنسي العسكري لم يمهل هذه الدولة لتحقيق أهدافها.

الفصل الثالث

جهاد إمبراطورية ساموراي توري ونهايتها

تمـــهيد

المبحث الأول :مراحل جهاد وكفاح الإمبراطورية.

1–مراحل جهاد الإمبراطورية .

2– حملة العقيد ارشينا رد.

3– أسباب انتصار فرنسا على جهاد ساموراي

المبحث الثاني:

1– القضاء على دولة ساموراي توري الإسلامية .

الفصل الثالث: جهاد إمبراطورية ساموري توري ونهايتها.

كانت إفريقيا بعد النصف الثاني للقرن 19م تعيش حالة مخاض قصوى بسبب زيادة تكالب الدول الاستعمارية الأوروبية عليها، وازدياد عملية التوغل نحو الداخل وسيطرتهم على معظم الممرات المائية والمنافذ البحرية التي تعتبر متنفس الشعوب الإفريقية، وكانت فرنسا من أهم القوى الأوروبية المسيطرة على السواحل الإفريقية وجميع المنافذ الواقعة فيها.

ويعتبر مؤتمر برلين 1884م-1885م قمة التكالب الاستعماري نحو إفريقيا، حيث تم من خلاله ترتيب أساليب السيطرة والاحتلال من خلال محاولة الدول الاستعمارية تجنب المواجهة العسكرية فيما بينهم من آجل تقسيم الكعكة الإفريقية، وكأن بمثابة تمهيد لتقطيع أوصال القارة الأوروبية. وانطلاقا من هنا اعتمدت فرنسا في بادئ أمرها في غزو غرب إفريقيا والسودان الغربي، على جهاز البحرية الدي كأن متواجدا في المنطقة مند عام 1880م، والدي تصادف مع قيام جهاد ساموري توري، فقد كانت لدى ساموري القدرة على الرؤية بوضوح، والتجاوب بفعالية مع الظروف المتغيرة.

وكانت رسالته الكبرى في الحياة هي الدفاع عن إمبراطوريته، ومواجهة التوسع الاستعماري، ولتغلل المسيحي في السودان الغربي ففي منتصف الستينات من القرن التاسع عشر، وجدت فرنسا النواة التي ستقوم عليها الدولة المقترحة، والتي ستتخذ من بيسأندوجو bissandugu عاصمتا لها والتي كانت تقرب من مسقط رأسه[1].

وقد كأن ساموري توري على درجة عالية من الكفاءة والقوة، حيث باعت قواته العبيد الدين أسرتهم أثناء زحفها وفي نفس الوقت قامت بشراء الخيول والأسلحة الحديثة، وكأن على دولة ساموري أن تعد نفسها الى فتوحات كثيرة، وبعد أن تم لها دلك قامت بتنظيم القرى المفتوحة، حيث قام حكامها بجمع الجزية من الذهب والإنتاج الزراعي، ومن هنا بدأت مراحل الجهاد وتطورت بين إمبراطورية ساموري توري والقوات الفرنسية.

[1] ويكيبيديا، ساموراي توري، 2017/10/10، 15.30

المبحث الأول: مراحل جهاد وكفاح الإمبراطورية.

شعر الإمام ساموري بالخطر نتيجة لتحركات القوات الفرنسية في غرب إفريقيا، وأيقن أن الحرب لابد من الوقوع بينهما لا محالة رغم ما تظهره له فرنسا من ود زائف، واقتنع مند بداية الأمر أن حربه معها هي حرب حضارية أولا وقبل كل شيء، وأن انتصار فرنسا معناه القضاء على الدين الإسلامي والحضارة الإسلامية، وفتح باب التنصير للمسيحية على مصراعيه، ولدا فالحربيين الطرفين قد اتحدت طابع الجهاد، كما أدرك أيضا أن الحرب ستكون طويلة الأمد، وشديدة المراس، نظرا لعدم تكافؤ القوتين من ناحية العدد والعدة، ولكنه كأن يؤمن ايمانا راسخا بأنه على حق، وعدوه على باطل، فادا ما أنتصر فقد أنتصر لدينه وعرضه ووطنه، وادا ما قتل فجزاؤه جزاء الصديقين والشهداء، فكأن هذا هو موقفه الذي عاهد الله عليه، ومات في سبيله، ولهذا فقط تمسك بجهاده الذي مر بثلاث مراحل رئيسية.

لقد أدركت فرنسا مند البداية أن إطلاق يدها في غرب إفريقيا لن يتحقق إلا بالقضاء على قوة الأمام ساموري، لأنها تمثل العقبة الحقيقية أمام تقدمها في تلك البلاد، ولدا أخذت تتحين الفرص للتدخل بصفة مشروعة لضرب الإمام، وقد واتتها تلك الفرصة حينما استنجد بها حاكم بلدة كنيرا الواقعة في النيجر الأعلى لأنقاد بلدته من حصار قوات الإمام.

لم تتردد السلطات الفرنسية في إرسال احد ضباطها للإمام بحجة التفاوض معه لرفع الحصار عن البلدة، ولكن الإمام رفض دلك فاتخذ الفرنسيون من هذا الموقف ذريعة للتدخل العسكري تحت قيادة ديبورد، ولكنهم لم يظهروا نيتهم في الحرب، بل أعلنوا بأن الخطة هدفها زيارة بعض الزعماء الأفارقة، ولكن هده الحيلة لم تنطل على الإمام فهاجمها وحدثت بين الطرفين أكثر من معركة كأن من نتيجتها تكبد الفرنسيين الكثير من الخسائر، مما اضطرهم إلى الانسحاب.[1]

ويبدو أن هذا الصدام المسلح كانت تهدف فرنسا من ورائه اختبار مدى قوة الإمام حتى تستطيع أن تحشد له من الجيوش ما يمكنها من التغلب عليه، وما درت فرنسا أن هذا

[1]Gann ;l.h . ;. ;p.204

الصدام هو بداية طريق طويل وشاق اجتازته قواتها في 13 عاما، إلى أن استطاعت أن تضع نهاية لهده الحرب الضروس بعد أن تكبدت خسائر فادحة في النفس والمال .[1]

لقد كأن تيبا في حقيقة الأمر يمثل خطرا دائما على الإمام ساموري، فكثيرا ما لجأت فرنسا في تقدمها نحو ممتلكات الإمام إلى تحريك قوات تيبا في الوقت نفسه ، لتضع قوات الإمام باستمرار بين شقي رحى، وعندئذ يضطر الإمام إلى تقسيم قواته قسمين احدها لمواجهة قوات فرنسا، والقسم الآخر لمواجهة تيبا، وكأن يترتب على دلك إضعاف قوة الإمام وتشتيتها، وهذا ما كان الإمام يعمل جاهدا على تلافيه.

وبالرغم من محاولة فرنسا توثيق صلتها بتيبا إلى حد إغرائه بتركك الدين الإسلامي والدخول في المسيحية ظنا منها بأن تيبا اقل تمسكا بإسلامه من الأمام، وأن شدة عدائه له ربما دفعته إلى إرضاء فرنسا واعتناق المسيحية، ولكنها فشلت في دلك.

ويمكننا أن نقسم حركة الجهاد ضد فرنسا إلى ثلاث مراحل.

في **المرحلة الأولى** كانت خطة فرنسا تهدف إلى تطهير الضفة اليسرى لنهر النيجر من قوات الإمام ساموراي وحصرها في الضفة اليمنى توطئة للقضاء عليها بعد دلك، وكانت هده الخطة تقابل بمعارضة شديدة من قبل الإمام، فلم يقبل بتدخل الفرنسيين في النيجر بأية صورة من الصور، ولا تحت أي ذريعة من الذرائع، فتصدى لقواتهم وشغلت المعارك الحربية عام 1302هـ/1886م.[2]

ففي جانفي 1882معين بورنيديبور قائدا عسكريا لأعالي النهر، فاعد حملة لفك الحصار على كينيرا ولم يكن هدف الفرنسيين إنسانيا بالطبع، وإنما أرادوا منع ساموري من الإغارة على البلاد المجاورة، ولتأكيد السيطرة الفرنسية في المنطقة بالإضافة إلى أن احد الطرق الهامة المؤدية إلى النيجر وهو وادي باخوى كأن مسدودا في وجه الفرنسيين بسبب

[1].محمد محمود السروجي،جهاد الإمام ساموري توري في غرب إفريقيا ،في النصف الثاني من القرن 13 وأوائل القرن 14 الهجريين ،النصف الثاني للقرن 19 ميلادي ،د د.ب ،د.س،ص161.

[2]،محمد محمود السروجي، المرجع السابق ،ص167.

وجود قوات ساموراي، ولدلك خشي ديبورد من تزايد نفوذ ساموري وهكذا كانت حملة ديبورد أول اتصال بين الطرفين، [1]

وفي سنة 1883م حدث الاحتكاك الثاني مع الفرنسيين بعد أن قام احد قواد ساموري بحملة أدت إلى قطع خط التلغراف بين قلاع كيتا وباماكو، وفي نفس الوقت أخذ ساموري عددا من الأسرى من قرى المناطق التي أعلن الفرنسيون الحملة عليها، وحدث اشتباك بالقرب من باماكو، ونجح الفرنسيون في سلسلة من الأحداث أن يظهروا تفوقهم على رجال ساموري.[2]

وفي الوقت الذي كأن فيه ساموري يحاصر مدينة ساجيدي في الجنوب كأن أخوه قائد جيش الشمال يسعى إلى احتلال باماكو[3]، الا أن الفرنسيين وصلوا إلى المنطقة قبله ولم يتمكن كيمي بريما الأخ الأصغر لساموري من الاتصال به، وبدا الهجوم الإسلامي على الفرنسيين، ولكن رغم التفوق العددي للمسلمين لم يستطيعوا تحقيق النصر المطلوب.[4]

وعلى الرغم من هده المصادمات إلا أنها كانت مجرد مناوشات بين الطرفين ولم يكن ساموري قد دخل في صراع حقيقي مع الفرنسيين.[5]

وخلال تلك الاشتباكات حقق الفرنسيون بعض الانتصارات لكنهم لم يستطيعوا تحقيق النصر النهائي على ساموري توري الذي ارتفعت مكانته في نظر السكان المحليين بالرغم من خطه ومناوراته الحربية، غبر أنه كأن عاجزا أمام الأسلحة الأوروبية المتطورة التي حرمته من ثمار تحقيق نصر رجال شجعان والصمود في وجهها.[6]

---

[1] الهام محمد دهني،المرجع السابق ،ص148.

[2] سمية جيمان،التوسع الفرنسي في السنغال خلال القرن 19م ومقاومة ساموري توري نموذجا،مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث والمعاصر ،جامعة الجيلالي بونعامة،2014م-2015م،ص87.

[3] عبد الله عبد الرزاق،المرجع السابق،ص130.

[4] سمية جيمان ،المرجع السابق،ص87.

[5] الهام محمد دهني،المرجع السابق،ص149.

[6] سمية جيمان ،المرجع السابق،ص88

تواصلت المواجهات العسكرية بين ساموري والفرنسيين خلال الفترة الممتدة بين 1882م الى غاية 1898م[1]، إلى جانب المهارة الحربية التي يمتلكها ساموري، نجده يتمتع بالبراعة الدبلوماسية.

فبعد تلك المعارك الطاحنة بين الطرفين شعر الإمام بأنه في حاجة إلى هدنة ريثما يعيد ترتيب قواته لمواصلة الجهاد من جديد، ولدلك قام ساموري بإرسال رسله إلى الفرنسيين لكي يشرح لهم الرغبة في فتح باب المفاوضات لآجل عقد اتفاقية سلام وتحديد مناطق نفوذ كلا الطرفين.

بحيث قام ساموري بتوقيع أول معاهدة مع الفرنسيين في مدينة كنيا باكور.[2]وأعلن ساموري صراحة رفضه للاقتراح الفرنسي ولأي شكل من أشكال الحماية على دولته، وهو موضوع احدث قلقا لدى الفرنسيين الدين سعوا لإعادة التفاوض بعد عامين من هذا الاتفاق، وقد اقترح فري على ساموري السماح لابنه بالسفر الى باريس كعلامة لحسن النية.[3]

لكن علاقات الود لم تدم طويلا، بحيث اعتبر الطرفان هده المعاهدة بمثابة هدنة مؤقتة ريثما تسمح الظروف لكل منها لكي ينقض على الاخر.

وصل الفرنسيون إلى مدينة باماكو سنة 1883م، وقاموا بشن حروبهم ضد مملكة ساموري، وقد دلت هده الاشتباكات على أن الصراع سيكون طويل الامد.

---

[1]عطية عبد الكامل،المرجع لسابق ،ص112.

[2]معاهدة كينيا باكورأن في 16 افريل 1887موالتي نصت على مايلي.

اعتراف ساموري بسيادة فرنسا ونفوذها على الضفة اليسرى لنهر النيجر من نيامينا حتى تنكيسو.

–موافقة ساموري على التخلي عن المطالبة بحقوقه من مناجم الدهب في بوري والاعتراف باستيلاء الفرنسيين عليها.

–بقية الأراضي الواقعة على الضفة اليسرى للنيجر ستكون تحت سيطرة ساموري،أنظر عطية عبد الكامل،المرجع نفسه ،ص112.

[3]عبد الله عبد الرزاق إبراهيم،المرجع السابق ،ص132.

شرعت فرنسا عام 1890م في فتح السودان الغربي كله، حيث بدأت حملاتها الحربية بمحاذاة نهر النيجر ولتسهيل هذا التوسع قامت ببناء خط حديدي يصل ساحل السنغال على المحيط الأطلنطي، بالإضافة إلى دلك استولت على جني وتمبكتو ثم على سائر البلاد. [1]

لقد كانت أهداف الفرنسيين تقتصر على إمبراطورية التكولور، [2]ولم تكن موجهة لدولة الإمام ساموري في بادئ امره، وفي سنة 1882م التقى ساموري بالضابط الفرنسي الكانيسا ليخبره بالابتعاد عن منطقة كينيرا.[3]

ولكن ساموري رفض الخضوع لمطالبهم وقام بحصارها في نوفمبر1882موسرعان ماجرت فرنسا تعديلا مع ساموري في معاهدة بيساندوجو[4]، التي كانت أدق واشمل في نصوصها من معاهدة كينيا كورا لأنها حددت بوضوح مناطق النفوذ الفرنسي، وبتوقيع ساموري هده المعاهدة امن ظهر قواته من الفرنسيين، وقام بمهاجمة المناطق الشمالية والشرقية لاقليم كنيدوجو، كما حاصر عاصمة تيبا سيكاسو، واثناء هذا الحصار التقى ساموري مع الكابتن بنجر في 26 سبتمبر 1887م الدي أرسلته الحكومة الفرنسية للتعرف على البلاد الواقعة عند ثنية النيجر، بالإضافة إلى دلك عقد اتفاقيات سياسية في المنطقة الواقعة في السودان الفرنسي وحتى خليج غينيا. ورغم الاستقبال الحسن من طرف

---

[1] ي.سافلييف،موجز تاريخ إفريقيا،ترامين الشريف ،ب ط دار الطباعة الحديثة،مصر ،دس ،ص61.

[2] إمبراطورية التكولور،اختلف المؤرخون في تحديد موقع هده المنطقة التي تعرف باسم التكولور بين حوض نهر السنغال ونهر النيجر ومنطقة ولاتة،إلا أن البعض يرى أنا إقليم واسع ممتد شرقا الى مالي وغربا إلى نهر السنغال وجنوبا إلى اعلي نهر السنغال أو النيجر وشمالا إلى ادرار.أنظر،أبي عبد الله محمد بن ابي بكر الصديق البرتليالولاتي،فتح الشكور في معرفة اعبأن علماء التكرور محمد إبراهيم الكتأني،محمد حججي،د ط،دار الغرب الإسلامي ،بيروت،1981م،ص26.

[3] –كينيرا،قرية على الضفة اليمنى للنيجر يوجد بها احد أهم أسواق العبيد والملح،كما كانت مركزا هاما لتجارة الذهب القادم من بوري في أعالي النيجر،أنظر، الهام محمد علي دهني ،المرجع السابق ،ص147.ا

[4] معاهدة بيسأندوجو، في 25 مارس 1887م بين بيروز عن الجانب الفرنسي وساموري توري والتي نصت على ما يلي.

–موافقة ساموري على أن يعتبر نهر النيجر بمثابة خط الحدود بينه وبين الفرنسيين كما وافق على التجارة مع المراكز التجارية الفرنسية.

–اعتراف ساموري بحقوق فرنسا على الضفة ليسرى لنهر تنكيسو حتى نيامينا.

–اجبر ساموري بمقتضى المعاهدة ألا يتعدى غرب أعالي النيجر عند سيجيري ،وأنتزعت منه ممتلكاته في شمال النيجر.أنظر، عطية عبد الكامل ،المرجع السابق ،ص112.

ياموريلبنجر، إلا أنه رفض توسطه للصلح مع تيبا، ورفض الحصار على سيكاسو، ولكنه اضطر في الأخير إلى فكه أتم الفرنسيين عملوا على تهديد تجارته ودلك لأن تسيا كأن حليفا لهم وبعد توقيع معاهدة بيسأندوجو مع الفرنسيين أصبح لفرنسا سيطرة تامة على الأراضي الداخلية لسيراليون، مما حال دون امتداد انجلترا للداخل، [1]وفي سنة 1888مقام ساموري بتوقيع معاهدة فستنج[2]، وقد اقتنع فستنجس لموري بمد خط حديدي بين أراضيه وسيراليون فوافق ساموري ولكنه اشترط ضمان استمرار تجارته مع فريتاون، ووقع معاهدة أخرى مع البريطانيين معاهدة قاربت ولدلك صممت إدارة الاحتلال الفرنسي التخلص منه.[3]

وكأن هدف الإمام من وراء عقده لتلك المعاهدة وفي هده الفترة بالضبط وعلى حسب اعتقادي هو محاولته الاعتماد على صداقة دولة كبرى بعد أن تخلص من معاهدته مع فرنسا. وبالرغم من خطط الإمام ساموري ومناوراته الحربية الفائقة، الا أنه كأن عاجزا أمام الأسلحة الأوروبية المتطورة التي حرمته من تحقيق النصر.[4]

حملة العقيد ارشينا رد 1890م-1891م.

في أواخر سنة 1882م بدا الفرنسيون يفكرون في السيطرة على الأراضي الواقعة تحت قبضة ساموري توري، هذا لأنهم أساؤوا التقدير معتقدين أنه أوشك على السقوط، كذلك كونه كأن يمثل في نظر شعبه كل الآمال والطموحات.[5]

---

[1]الهام محمد علي دهني،المرجع السابق ،ص152.

[2]عطية عبد الكامل،المرجع السابق،ص113.

[3]الهام محمد علي دهني المرجع السايق،ص152.

[4]عبد الله عبد الرزاق إبراهيم،المرجع السابق،ص131.

[6]ارشينارد.هو قائد فرنسي من مواليد 11 فيفري 11850م تخرج من المدرسة المتعددة التقنيات برتبة ملازم البحرية في ماي 1870م ،شارك في الحرب الروسية الفرنسية عام 1870م،وأرسل إلى الهند سنة 1876م وبقي هناك مدة عامين،ثم أنتقل بعدها إلى السنغال في 1880م،عين على رأس القيادة العليا للسودان،ثم أنتقل بعدها إلى السنغال في 1880منعين على رأس القيادة العليا للسودان،ثم أنتقل إلى الهند الصينية سنة 1893م،عاد إلى باريس حيث أمضى بقية حياته العسكرية إلى غاية وفاته في 8 ماي 1932م.أنظر ،سمة جيمان،المرجع السابق ص88.

قامت فرنسا بتغيير القيادة، فحل القائد ارشينا رد[1] محل جالينيي، في قيادة قوات السودان الغربي، كانت خطة ارشينا رد تقوم على أساس أن إخضاع ساموري سيعطيه الحرية للهجوم على إمبراطورية التكلور التي كانت هدفه الرئيسي ورغم توقيع ساموري لمعاهدة بيسأندوجو إلا أنه واصل تسليح جيشه بأحدث الأسلحة، ويدربه على احدث المعدات.[2]كما أنه لم يحترم نصوص المعاهدة واستمر جنوده في الإغارة على الأراضي التابعة لفرنسا، وقد أرسل إليها رشينا رد يحذره، ويذكره بنصوص المعاهدة المعقودة بينه وبين الفرنسيين، ولتجنب الصدام معه أرسل إليها رشينا رد طالبا توقيع معاهدة جديدة فوافق ساموري وتم توقيع معاهدة نياكو سنة 1889منوبمقتضاها سلم ساموري الأراضي الواقعة بين تنكيسو وأعالي النيجر إلى الفرنسيين كما تعهد بمنع جنوده من الإغارة عليها، وتأكيدا لنصوص المعاهدة أنشا الفرنسيون مركزا في كوروسا على الضفة ليسرى لأعالي النيجر لمراقبة المنطقة ومنع جنود ساموري من الإغارة عليها.

ولكن رغم توقيع ساموري لهده المعاهدة إلا أنه سرعان ما أعلن رفضها ووقع معاهدة أخرى مع البريطانيين هي معاهدة جاريت والتي سبق ذكرها من قبل.

وازداد تطور الأحداث وتمسك ساوري بمهاجمة القرى والمدن التابعة لنفوذ فرنسا، بدا10مارس 1891م بدأت الحملة في السير على الضفة اليسرى للنيجر بعد أن خرجت من ثم ترابط قوات ساموري، ثم عسكرت في أول ابريل في كركور، أعلنت بعدها القرى التابعة لساموري خضوعها للفرنسيين، وقد استطاعت القوات الفرنسية الدخول إلى كنكان بعدما

[1] غاليتي،قائد فرنسي من مواليد 24 ابريل 1849م اخرج من مدرسة سأنتسيير العسكرية برتبة ملازم 1870م،ارسل الى السنغال سنة1876م حيث قلد بعثتين إلى النيجر سنتي 1893مو1895م إلى الهند الصينية ثم عين حاكما على مدغشقر بين السنوات 1896مو1905م،عين حاكما على باريس في الخرب العالمية الاولى توفيسنة 1916م،سميةجيمأن،المرجع السابق،ص88.

[2] عبد الله عبد الرزاق إبراهيم،المرجع السابق،ص135.

احرقها ساموري لتجدها خالية من السكان.[1]وبعدها مباشرة احتلت القوات الفرنسية عاصمة ساموري بيسأندوجو التي أنسحب منها إلى مرتفعات غينيا.[2]

لكن سرعان ما استطاع ساموري توري التحكم بالوضع من جديد وفرض سيطرته على جميع الأرياف إلى غاية باماكو نفسها، كما قام بتحريض سكان المناطق الواقعة بين سيغووس أن سأندغ ضد الفرنسيين، وهذا مما أكد فشل حملة ارشينا رد وجميع خططه للقضاء على ساموري.[3]

وتجدر الإشارة إلى أنه في تلك الفترة الحرجة من تاريخ جهاد الإمام نجده يشعر بالحاجة الماسة إلى تكوين حلف من القوى الإسلامية في المنطقة يضم أمير المؤمنين احمد واشيخوا حاكم سيجو بصفة مبدئية لاسيما وأن الفرنسيين قد هاجموا مملكته واخذوا يهددونها، فاتصل باحمدو لحثه على تكوين تحالف معه لصد الفرنسيين ولكن مما يؤسف له. أن هذا الحلف لم يخرج إلى حيز الوجود، ودلك للإسراع الفرنسيين بتوجيه ضربة إلى كل منهما على حدة لمنع تكوينه.

والحقيقة أن أمير المؤمنين احمد واشيخوا كأن يواجه مشكلات عديدة مند وفاة أبيه الحاج عمر، نتيجة منافسة قواد، وأشقائه لهفي الحكم مما ترتب عليه ضعف مملكته وتفككها . ويهذا تنتهي لمرحلة الثانية من جهادا لإمام ساموري والقوى الإسلامية مشتتة، والعدو يعمل جاهدا على القضاء عليهم منفردين.

بدأت المرحلة الثالثة من جهاد الإمام بعد سقوط كانكان وبيسأندوجو، ولكن ليس معنى سقوط المدينتين الرئيسيتين انتهاء مقاومة الإمام فبالرغم من ضياع أجزاء كبيرة من أراضيه إلا أنه كأن يعوضها بضم أراض جديدة لملكه، وفي الوقت نفسه فهو لا يزال يحتفظ بقوة عسكرية كبيرة مؤمنة بالجهاد في سبيل الله لرفع راية الإسلام والقضاء على أعدائه فادا ما سقطت بعض الأراضي في أيدي الفرنسيين أنتقل إلى غيرها وهكذا، فعاصمة ملكه ليست

[1]الهام محمد علي دهني،المرجع السابق ص ص155-156.

[2]يحي بوعزيز،المرجع السابق،ص141.

[3]سمية جيمأن،المرجع السابق ،ص90

ثابتة وإنما تنتقل إلى حيث يقيم الإمام، ومن هنا أطلق المؤرخون الفرنسيون على دولة الإمام ساموري بالإمبراطورية المتنقلة أو المتحركة، وهذا الأسلوب العسكري الذي اتبعه الإمام أنما يتماشى مع طبيعة دولته، فهولا يستطيع الصمود أمام المدفعية الفرنسية القوية ومن ثم فالتحرك الدائم والمستمر والقائم على المباغتة هي سمة من سمات هده الدولة الإسلامية التي كونها الإمام ساموري.[1]

بالإضافة إلى دلك فأن الإمام عمل جاهدا ونجح في دلك إلى حد بعيد على إعداد جيش مجهز بأحدث ما عرفه عصره من أسلحة وعتاد فهو لم يحارب فرنسا بأسلحة بدائية وإنما حاربها بجيش أحسن تدريبه وتسليحه، فقد صدع لقول الله سبحانه وتعالى واعدو لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم.

ومن هنا كانت خطورته على الوجود الفرنسي في غرب إفريقيا، ويزيد منها معرفته التامة بطبيعة الأرض التي يحارب فوقها، ولدا كأن المسؤولون الفرنسيون يدركون أن إضعاف قوة الإمام ساموري ليست نهاية المطاف بالنسبة لهم، فلن تستقر الأوضاع في غرب إفريقيا لصالحهم إلا بالقضاء على الإمام نفسه[2]، وكما أن الحكومة الفرنسية كانت متلهفة لوضع حد للتوسع العسكري في تلك البلاد نظرا بطول فترة الخرب التي لم تكن تتوقعها بحال من الأحوال.

زد على دلك الضغط الواقع على الحكومة الفرنسية من قبل المعارضة داخل البرلمان، خصوصا وأن العمليات الحربة قد كبدت فرنسا الكثير من الرجال والأموال وبناءا على دلك تصدر الحكومة الفرنسية إلى مسئوليها في تلك البلاد أوامرها بالانتهاء من الأعمال العسكرية في أسرع ووقت ممكن والتفرغ لتنمية موارد البلاد الاقتصادية بما يعود على فرنسا أولا بالنفع الكبير.

[1] محمد محمود السروجي ، المرجع السابق ،ص173.

[2] Menadue،jacques ;les pionniers du soudan ;tome1-11paris1931 ;p302.

وتنفيذا لتلك السياسة الجديدة قامت الحكومة الفرنسية حاكم مدني لغرب إفريقيا يدعى جروديه مزودا بالصلاحيات اللازمة لتحقيق هذا الهدف كما عينت قائدا عسكريا جديدا خلفا لارشينارد يدعى بونييه للغرض نفسه.

واصلت قوات الإمام غاراتها المكثفة على الأراضي التابعة لفرنسا وكأن الهدف منها إظهار قوة المعسكر الإسلامي، وبأن هذه القوة لم تضعف بفقد بعض الأراضي، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى إثارة الفوضى والاضطراب في المناطق التابعة لفرنسا حتى لا يشعر الفرنسيون بالاطمئنان والاستقرار.

وإزاء تلك الهجمات المتكررة لقوات الإمام جرد القائد الفرنسي الجديد حملة بقيادة مونتي لتتبع تلك القوات والقضاء عليها، وقد واجهت الحملة قتالا ضاريا، فمنيت بهزيمة ساحقة واسر من افردها عدد كبير.

وإزاء تلك الهزيمة المتكررة وجهت القيادة الفرنسية حملة أخرى لميكن نصيبها بأحسن حال من سابقتها، ولدا رأى حاكم السنغال الفرنسي شودييه بعد هذا الفشل المتكرر أن يوفد الرائد برولو لمقابلة الإمام والاتفاق على توقيع معاهدة سلام بين الطرفين تضع حدا للحروب التي استمرت سنوات طويلة.

مال الإمام إلى عقد معاهدة سلام وتجارة بين الطرفين خصوصا وأنه سيعقد تلك المعاهدة من مركز قوة وليس من مركز ضعف، هذا فضلا عن أن المعاهدة ستتيح له فرصة التفرغ لنشر الإسلام، وهي المهمة المقدسة التي كرس حياته من اجلها.

ولكن الفرنسيين قاموا بخدعة دنيئة عند تحريرهم للنسخة الفرنسية من المعاهدة فبدلا من النص على أنها معاهدة سلام وتجارة كما كان الاتفاق عليه، جعلوها معاهدة حماية تعطيهم الحق في تعيين مندوب فرنسي في الأراضي الخاضعة لحكم الأمام يكون ممثلا لسلطة الاحتلال الفرنسي فيها، وفعلوا الشيء نفسه في معاهدة نأنجو مع أمير المؤمنين احمد واشيخوا 03نوفمبر1880م.[1]رفض الإمام المعاهدة كما أرادها الفرنسيون وتجدد القتال

[1]Oloruntimenhin the segutukulor empire;londn;1972;pp240-241.

مرة أخرى، وفي هده المرحلة بدا الإمام يغير من أسلوبه العسكري مستغلا في دلك طبيعة المنطقة التي لم يعرفها تمام المعرفة، فلجا إلى مناطق الغابات الداخلية لساحل العاج، وأخذت القوات الفرنسية تتعقبه أينما ذهب. وعندما وجد الإمام أن قواته قد قل عددها وأنهكها التعب من كثرة الحروب وشعر بأنه لن يستطيع مواصلة القتال وهو على هذا الحال طلب من الفرنسيين إيقاف القتال والتفاهم في آمر الصلح.

رفض القائد الفرنسي دلك مالم يقم الإمام بتسليم أسلحته وأبنائه كضمان لإقرار السلام، وعظم على الإمام هذا الأمر فرفضه واستمر في القتال في ظروف بالغة السوء إلى أن تمكن الفرنسيون من القبض عليه عن طريق القدر والخيانة، حيث نفي إلى جزيرة او جويه في عام 1898م، وبدلك تستقر الأوضاع لفرنسا في غرب إفريقيا بصفة نهائية.[1]

وفي الأخير ومما سيق يمكن القول بأن فشل ساموري لم يكن مرجعه افتقاده إلى المهارة الحربية أو الفطنة السياسية وإنما كأن وجود الأوروبيين هو مصدر سوء حظه اد كانت فرنسا تبسط نفردها ببطء على الأجزاء الغربية من بلاد السودان، كما واجه ساموري متاعب من جانب آخر فقد كأن يحصل على السلاح من البريطانيين الدين وجدوه أفضل طريقة تشغل الفرنسيين .وما أن وقف الفرنسيون والبريطانيون في وجه بعضهم البعض متنافسين على الحدود في منطقة ساحل الذهب حتى أخذ ساموري تساوره الرغبة في الحصول على السلاح من البريطانيين فقرر التحرك صوب حدود ليبيريا، ولكن الفرنسيين واصلو مطاردته بعنف واخذوا يهاجمون جيشه بضراوة. وهنا ارتكب ساموري غلطة كبرى عندما قرر التحرك ناحية الغرب عبر الغابات الاستوائية في فصل الأمطار حيث واجه خطر المجاعة الكبرى، وكأن هذا الخطأ قاتلا وفادحا كلف ساموري حياته وضياع دولته .بالإضافة إلى أنه يمكن رد انتصار فرنسا على جهاد الإمام ساموري توري إلى ثلاث أسباب رئيسية.– العداء بين القادة المسلمين والخيانة والعمالة من بعضهم.

–مساعدة الوثنيين لهم.

–القوة الحربية كانت لصالحهم في السلاح والعتاد.

[1].محمد محمود السروجي، المرجع السابق ، ص175

المبحث الثاني: نهاية إمبراطورية المأندنجو.

القضاء على دولة ساموري الإسلامية.

بعد الاحتكاكات الأولى مع الفرنسيين أدرك ساموري أنه لابد من تغيير استراتيجيته، وأنه لابد من إعادة تنظيم جيشه على أسس جدية، وأصبح في نظره أن الإجراءات الدفاعية المعتادة داخل نقاط قوية وانتظار العدو غير كافية في ظروفه الراهنة، ودلك لأن مدفعية الرجل الأبيض تستطيع الصمود طويلا، كما أنها يمكن أن تقضي على أي تحصينات دفاعية، ولهذا كأن قرار ساموري بالهجوم على العدو في الأراضي المكشوفة بعكس ما كان مألوفا من قبل .

قام الإمام ساموري بتجهيز جيشه وتزويده بالأسلحة التي يمكن الحصول عليها من أي مصدر متاح سواء من الساحل، أو من الأهالي، أو من التجار، أو حتى من البريطانيين، كما أنه درب الجيش على النمط الأوروبي حتى وصل هذا الجيش إلى ذروة استعداده في عام 1890م، وبدا ساموري بالغارة على القرى والمراكز التابعة للفرنسيين، كما أنه أرسل إلى السلطان احمد وفي بلاد التوكلور يطلب منه التحالف ضد هذا العدو الأوروبي ولما أحس الفرنسيون بهذا التقارب بين زعماء المسلمين قرر ارشينا رد إرسال حملة الى ساموري للاستيلاء على مدينة كأن كأن، وكأن الفرنسيون قد استووا على سيجو في مارس، كما قرر ارشينا رد القضاء على ساموري قبل أن تصل أوامره إلى أخيه، وفعلا قام هذا القائد بالهجوم أيضا فرقة لحرق مدينة بيسأندوجو.[1]

لم يكن الاستيلاء على كأن كأن يعني إنهاء مقاومة ساموري، الذي هاجم القرى المجاورة، وكلف ابنه بمهاجمة الفرنسيين، كما كلف عمه الفا بالهجوم على القرى التابعة للفرنسيين، ولم تضعف هده الهجمات قوى ساموري الذي كأن يتوقعنه الهجوم في أي لحظة، وكأن الموقف العام في صالحه حيث كانت حملات عامي 1981مو1892م بداية مواجهة عنيفة بينه وبين الفرنسيين ندلك لأن الاستيلاء على كأن كأن معناه ازدياد نفوذ

[1] عبد الله عبد الرزاق ، المرجع السابق ،ص136.

فرنسا وضعف الزعماء الوطنيين أمام القوات الفرنسية حيث أعلن القائد الوطني اجيبوالولاء للفرنسيين واستعداده لتلقي أوامرهم ..[1]

بدا القائد الفرنسي جوستاف هامبورت الذي تولى القيادة بعد ارشينا رد الهجوم بقوة قوامها 1300 مقاتل و3000 من الحمالين والتقت القوات الفرنسية مع القوات الإسلامية في ميلو، وكأن ساموري يتولى القيادة بنفسه وحارب بكل شجاعة، وظهرت قدراته في هده المعركة حيث كأن التخطيط الحربي المتطور، والمهارات الفائقة التي عاقت التقدم الفرنسي كثيرا، لكن القائد الفرنسي هامبورت بفضل ما لديه من أسلحة متطورة استطاع أن يشق طريقه ويستولي على القلاع، وفي 14 فبراير استولى الفرنسيون على مخازن ذخيرة ساموري في أعالي تلال تتنكورو، وصار الفرنسيون وسط إمبراطورية ساموري، ولكنهم وجدوا أنفسهم وسط الخراب والدمار والعزلة دلك لأن الإمام ساموري أمر السكان المحليين بترك المناطق التي يقترب منها الفرنسيون مع أخد كل المؤن والمواد الغذائية بعد تدمير القرى واضطر الفرنسيون إزاء هذا الموقف إلى إقامة خط إمدادات من كأن كأن، بالإضافة إلى ما تكلفه هده الرحلة من المشاق ذهابا وإيابا.[2]

وانقضت عدة أسابيع والقائد الفرنسي هامبورت عاجز عن حله المشكلة، وأخيرا قرر الانسحاب في التاسع من ابريل تاركا حصنه في حالة حصار استمر منعزلا عن العالم مدة 7 أشهر، ولقد تضايق هامبورت من هده الحالة، وقرر عدم وضع قدمه مرة أخرى في السودان الغربي، واعترف بهزيمته، ولكنه وضع مسؤولية هده الاعمال على عاتق القائد ارشينا رد الذي عاد إلى المنطقة من جديد.

وصار من الواضح بعد هده الاشتباكات أن الإمام ساموري أوشك على النهاية بعد أن فقد عددا كبيرا من رجاله الشجعان، وفي عام 1892م اتخذ قراره التاريخي بالانسحاب من مسرحا لأحداث السياسية أمام الفرنسيين الدين يكنون له كل عداء، فقرر الابتعاد عن سيطرة

[1] Resistance ;pives :samouraï et laissera Leone in cahiers dénudes.1967 ;p25.

[2] عبد الله عبد الرزاق، المرجع السابق،ص103-137.

الأوروبيين حتى يعيد تشكيل قواته، ويضيف إليها دماء جديدة قادرة على مواجهة هذا الحشد الضخم من الفرنسيين ص138.[1]

أنسحب ساموري في هدوء من وجه الفرنسيين، وتركهم يواصلون تقدمهم، فاحتلت فرنسا كل الجزء الغربي من إمبراطورية الديولا حتى وصلوا إلى حدود سيراليون، وأطراف الغابة الكبرى، وبالتالي لم تكن هناك معارك حاسمة بعد تجنبا لاحتكاك بالفرنسيين، وواصل تقدمه شرقا بعيدا عن المحاولات لفرنسية للتوغل داخل إمبراطورتيه .

وفي عام1893م فوجئ ساموري بمواجهة القوات الفرنسية بقيادة الكولونيل الفرنسي ايوجينبونير في منطقة كووني، وتحرك ساموري بسرعة إلى الجنوب الشرقي في اتجاه المناطق الداخلية لساحل العاج، وكأن يحاول أيضا عدم الالتحام مع الفرنسيين، بل بدل جهدا لفتح باب التفاوض معهم لكي يحافظ على إمبراطورتيه من هذا الزحف الأوروبي الذي عزم على تقسيم المنطقة حسب بنود ومواد مؤتمر برلين لعام 1885م/1884م

لما فشلت كل محاولات ساموري في عقد صلح جديد مع الفرنسيين دلك لأنهم يرغبون في القضاء على الأمة بشكل نهائي، والإمام ساموري يرغب في مواصلة الجهاد كقائد إسلامي في دولة إسلامية أسسها بجهوده الداتية، ومن هنا جاء التناقض بين مطالب الفرنسيين الدين يخططون للسيطرة على المنطقة بأسرها، ورغبات الإمام ساموري في البقاء رئيسا لدولة إسلامية، ولدا ركز كل جهوده للسعي نحو عقد معاهدة سلام معهم حتى يتفرغ للجهاد والقضاء على الوثنيين، وكلما عرض الفرنسيون عليه فكرة الحماية كأن دائما يرفضها لأن الحماية في نظره تعني الاستسلام وضياع ثمار جهاده الطويل، وكأن دائما يقول للفرنسيين كلما طلبوا منه الحماية، أنهم ادا كانوا قد اغلقوا باب الجنوب أمام توسعاته، واعلقوا باب الشمال والغرب أمام جهاده فأن باب الشرق مازال مفتوحا، وارض الله واسعة، وأنه سيواصل جهاده في سبيل اللهو لما أحست فرنسا أن ساموري قائد حربي عنيد، وأنه يرفض كال عروض الحماية، بدأت تخطط لحملة جماعية بقصد الأطباق عليه من كل

[1] Carrerai ;f ;Candolle ;p ;delà Sénégambie française ;paris ;1855p.70

جانب، وقطع طرق مواصلاته، وإغلاق المنافذ التي يمكن أن يهرب منها، ودلك في محاولة أخيرة للقضاء، على رجل رفض التعاون معهم وحاربهم في أكثر من موقع.

ورغم حرص ساموري على تجنب الاحتكاك بالفرنسيين في توسعاتهم لضم المنطقة بأسرها، ووجد ساموري نفسه في مواجهة أخيرة مع الفرنسيين، فاحد يقاوم ويناضل بكل ماوتي من قوة، بكل ما لديه من أسلحة وذخيرة حتى استطاع الخروج من منطقة الخطر، وأنتصر على الجماعات المحلية في ابرون في يوليه عام 1895م، ثم أنتقل الى جوندا الغربية في يناير 1896م .[1]

وبدأت مرحلة من الهدوء النسبي طوال عام 1897م حيث استطاع ساموري تنظيم جيشه من جديد، والتقط أنفاسه استعدادا لمعركة المصير والتحرير مع عدو عنيد يصر على فرض الحماية بالقوة، ويلح في القضاء على دولة إسلامية تنشر حضارة الإسلام، وتطبق الشريعة في كل منحى من مناحي الحياة، فقد كان ساموري يعتمد على شن حرب العصابات.[2]

وفي أول مايو عام 1898م استولى الفرنسيون على سيكاس وفجأة، وعندما سمع ساموري هذا النبأ أن خطته لن تجدي مع الفرنسيين، وأن حلفائه في بلاد التوما الموجودين في ليبيريا، وكأن الأمل يحدوه لا أن يجد موقعا حصينا هناك، لكن الفرنسيين كانوا يدركون عنصر الوقت ، فتحركوا بسرعة لتعقب كل خطواته، وتحرك الإمام في اتجاه الغرب، وكأن يحرق كل مدينة وكل قرية يجلو منها حتى لا يجد الفرنسيون أي مساعدات أو مؤن تساعدهم على مواصلة الحرب ضده، وكأن كلما تحرك غربا واستولى على منطقة من المناطق يترك بعضا من رجاله للدفاع عن المناطق الجديدة، وهده حيلة بارعة، ونظام حربي حديث إرهاق الفرنسيين وكبدهم الكثير وهم يتعقبون هذا المجاهد العنيد الذي رفض الاستسلام مقابل السلام، ورفض الحماية مقابل سلطانا تابع لهم .

[1] عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، المرجع السابق ،ص140

[2] عايدة العرب موسى،قرن الرعب الإفريقي الغزو والمقاومة،دار البشير للثقافة والعلوم،ط1،مصر،2014م،ص145.

وفي يونيو من العام نفسه أنسحب من المناطق الشرقية، وركز كل جيشه مع حوالي12الف من المدنيين على الساحل الضيق لبافنكو واستطاع في مواجهة مع الفرنسيين أن يكسب معركة كبيرة ضد القائد الفرنسي لارتيج، ودلك في 20يوليه، لكن ارتكب الإمام ساموري غلطة كبرى عندما قرر التحرك ناحية الغرب عبر الغابات الاستوائية وجبال الدأن في منتصف فصب لبلمطار حيث واجه خطر المجاعة الكبرى، مما اجبر القوات على الاختفاء في الليل بحثا عن لقمة عيش، فكأن أن تفرقت هده الجموع في وسط ظروف قاسية، ولم يعد العدد الأكبر منها، كأن هذا الخطأ قاتلا وفدحا كلف ساموري حياته، وكلفه ضياع دولته عندما قام القائد الفرنسي جورود بالهجوم على قوات ساموري في منطقة جيليمو في 29 من سبتمبر، ولقد طلب ساموري من القائد لارتيج أن يتركه لكي يعود إلى سأننكورو، لكن هذا القائد صمم على أدلال ساموري فطلب منه أن يسلم سلاحه وولديه، لكن المجاهد ساموري رفض هده الشروط، فكأن قرار الصمود حتى النهاية والاستشهاد في سبيل كلمة الحق والدين.

وأخيرا قرر الفرنسيون مواصلة الحرب ضد هذا المجاهد ساموري حتى أمكن القضاء عليه بعد تضييق الخناق عليه في 29 من سبتمبر، وتم نقله إلى الجابون حيث مات هنالك في 02يوليه عام 1900م تاركا المقاومة لحفيده احمد واسيكو توري الذي صار رئيسا لجمهورية غينيا التي حصلت على استقلالها في عام 1958م قبل كل المستعمرات الفرنسية في غرب إفريقيا.[1]

لكن حركة ساموري توري لم يقضي عليها بموته 1900م، اد واصل حركة المقاومة بعده حفيده احمد سيكو توري الذي صار أول رئيس لجمهورية غينيا التي حصلت على استقلالها 1958م.[2]

وهكذا انتهت حركة مقاومة استمرت أكثر من 25 عاما ضد القوى الامبريالية، وانتهى كفتح هذا البطل الإفريقي المسلم، دلك المجاهد الإسلامي الذي قاوم التسع الفرنسي بقواته

[1] عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، المرجع السابق،ص141.

[2] عايدة العرب موسى، المرجع السابق ،ص146.

وسلاحه وعتاده، وصار ساموري بطلا قوميا استحق أن يخلد شعبه ذكراه بعد أن ضحى بكل شيء في سبيل توحيد شعب المأندنجو، وتكوين جيش يضم كل عناصره هده القبائل، وقادها من نصر إلى نصر بعد أن وضع أسس دولة على أنقاض الممالك الوثنية، وواجه الغزو الفرنسي وكبده خسائر فادحة، ولم يهنا الفرنسيون بالعيش في سلام في مناطق نفوذه إلا بالقضاء على مقاومته العنيفة حيث واجه الفرنسيون عدوا عنيدا.

ومما يسترعي الانتباه أن أسلوب ساموري الحربي في تخريب المدن خلالها في مقاومة الفرنسيين وتكبيدهم خسائر طائلة، وكنت أهم خاصية تميزت بها من مكان لآخر بعيدا عن التوسع الفرنسي، وكأن ساموري يتحرك بها من مكان لآخر بعيدا عن التوسع الفرنسي، وكأن كلما أنسحب أما الفرنسيين حرص على تدمير كل شيء حتى لا يستفيد منه الأعداء.[1]

ومما اسبق كله نقول بأن حركة ساموري توري تعد امتدادا لحركة الجهاد ضد الامبريالية الفرنسية في غرب إفريقيا .فمن نتائج انتشار دعوة ساموري توري ومقاومته للغزاة الفرنسيين.

انتشار الإسلام والحضارة العربية الإسلامية في المناطق الشمالية الايفوارية الوثنية التي لم يصلها التأثير العربي الإسلامي، ولقد اثبت الزعيم ساموري أنه القائد الإفريقي التقليدي الذي احترم تقاليد وطنه وشعبه، وفي الوقت نفسه كأن يطور نفسه حسب الظروف الحديثة ، والمتطلبات الجديدة واستطاع أن يطيل أمد فترة المقاومة التي ارجع أساسا إلى قدرته على الانسحاب الفعال إلى مناطق غير خاضعة لسيطرة الفرنسيين، وكذلك قدراته على المناورة العسكرية، واستخدام الأسلحة الحديثة التي كأن يحصل عليها بشتى الطرق، فما يسترعي الانتباه أن أسلوب ساموري الحربي في تخريب المدن والقرى التي يهجرها قد ساعد على استمرار المقاومة فترة طويلة نجح خلالها في مقاومة الفرنسيين وتكبيدهم خسائر طائلة وكانت أهم خاصيتها إمبراطوريته تميزت بأنها كانت متحركة، فكأن كلما أنسحب أمام التوسع الفرنسي مدة طويلة تجلت فيها عبقريته وقدرته على الحصول على السلاح وقدراته على

[1] عبد الله عبد الرزاق إبراهيم ،المرجع السابق ،ص143.

اختيار الأماكن لإستراتيجية، وقدرته على التحرك وتنظيم الرجال بسرعة كبيرة أتاحت له سرعة الحركة ومفاجئة الأعداء في كل مكان.

خاتمة

وفي الختام يمكن القول بان دخول الإسلام إلى منطقة غرب إفريقيا كان بطريقة سلمية بفضل دعاة وفقهاء انطلقوا من المساجد والربطات بالإضافة إلى التجار الدين لهم الفضل الكبير في نشر الإسلام بين القبائل الوثنية التي تأثرت بحضارة الإسلام ويظهر دلك من خلال ما يلي.

حيث عرفت الدعوة الإسلامية في غرب إفريقيا نجاحا باهرا، تمثل في الدور الكبير الذي لعبه الإسلام في التقدم الحضاري والاجتماعي والثقافي في كل ربوع المنطقة حيث ظهر فيها التأثير الحضاري الإسلامي.

انتشار اللغة العربية التي سرعان ما أصبحت لغة المعاملات والعلوم، والفنون، وبدلك سادت الحضارة الإسلامية وطبعت حياة شعوبها في مختلف مناحي الحياة .

بروز الممالك الإسلامية التي حملت لواء نشر الإسلام في بقية المنطقة ومن أهمها إمبراطورية الماندنجو التي تكونت بهدف نشر الإسلام ومحاربة الوثنية وبدعها .

لقد تطورت الدعوة الإسلامية في غرب إفريقيا بعد انتشار الإسلام على نطاق واسع، هذا ما أدى إلى ظهور حركات إصلاحية دافعت عن الإسلام ضد الغزاة. ومن ابرز هده الحركات نجد حركة ساموري توري والتي ادا أردنا أن نقومها ونقوم جهاد ساموري توري من اجل تكوين هده الدولة الإسلامية الواسعة، وسعيه الدائب لإدخال القبائل الوثنية في الإسلام، وتعريفهم بشئون دينهم الجديد، وفتح العديد من المدارس لتعليمهم، وحروبه المريرة ضد التغلغل الفرنسي في غرب إفريقيا دفاعا عن الإسلام والمسلمين، نجد أنفسنا أمام حشد هائل من الإعمال الجليلة التي تستلفت نظر المؤرخ وتدعوه إلى الدراسة المتأنية وصولا إلى الحقيقة، وبعيدا عن العواطف التي قد تجرفه مجرى الحق والصدق.

فمن خلال ما سبق وما تناولته في هده الدراسة يمكن استنتاج ما يلي.

-إن أهم سلاح استخدمه الفرنسيون في غرب أفريقيا ضد القوى الإسلامية هناك هو سلاح فرق تسد، فقد حرصوا كل الحرص على ألا تجتمع كلمة الحكام المسلمين على حربهم صفا واحدا، لأنهم كانوا يدركون بأنه لو قدر لأكبر حاكمين مسلمين وهما الإمام ساموري توري

وأمير المؤمنين احمدوا شيخوا أن يتحالفا مع بعضهما ضدهم لكان دلك كارثة محققة بالنسبة لهم.

-كما أنهم استغلوا العداء القائم بين الإمام وتيبا الضرب كل منهما بالأخر ونجحوا في ضم تيبا إلى جانبهم ضد جاره المسلم الإمام ساموري وعندما رفض خليفة تيبا الاستمرار في تعاونه مع الفرنسيين ضد الإمام، لإدراكه بخطورة هذا العمل هاجمه الفرنسيون واستولوا على بلاده .

-وترتب على تقاعس الحكام المسلمين عن الاتحاد ضد عدوهم المشترك ا ناي نصر كان يحرزه الفرنسيون على احدهم كانوا يهددون به الآخرين للحصول على ما يريدون.

-إن الفرنسيين في تقدمهم داخل مملكة الإمام ساموري كانوا ينشئون العديد من الحصون المنيعة ويزودونها بعدد كبير من الجنود وبكميات كبيرة من المؤن والذخيرة بحيث يصعب على الإمام ساموري استعادتها ثانية إلا بخسارة فادحة .

كذلك استخدم الفرنسيون الوثنين اللذين لم يدخلوا في الإسلام في ضرب القوى الإسلامية وفي إضعاف المسلمين.

-ومهما يكن من شيء فان حركة ساموري توري تعد من الحركات الإسلامية الفتية في القرن الرابع عشر هجري /التاسع عشر ميلادي، فقد أحيت الإسلام في بلاد تأصلت فيها الوثنية، وأقامت دولة على أساس متين من العقيدة الإسلامية الصحيحة، ولكنها لسوء الحظ ووجهت بقوة استعمارية شرسة تسانده القوى الاستعمارية الكبرى التي قسمت إفريقيا فيما بينها إلى مناطق نفوذ، وهذا من اجل القضاء على الإسلام.

وآدا كانت قوى الشر والعدوان قد تكاتفت لمؤازرة بعضها البعض، فان القوى الإسلامية المدافعة لم تتكاتف وتتحد لصد هذا العدوان وهي في اشد الحاجة لدلك التعاون .

وفي هده الظروف غير المواتية للقوى الإسلامية وقف الإمام ساموري صامدا أمام عدو شرس وفي حرب غير متكافئة رافعا راية الجهاد ثلاثة عشر سنة، دوخ فيها الفرنسيين، ووقف

أمام اكبر قادتهم العسكريين على قدم المساواة من ناحية الخبرة العسكرية وفنون القتال، بحيث استحق من أعدائه عن جدارة لقب بونابرت السودان .

ومما سبق يمكن الإجابة على الإشكالية المطروحة على النحو التالي .

– نعم انتشار الإسلام كان هو المحرك الرئيسي لحركة الجهاد بالمنطقة فقد مر الجهاد بمرحلتين وهما:

المرحلة الأولى جهاد القبائل الوثنية بمعنى المرحلة الأولى كانت حركة جهاد إصلاحية.

أما **المرحلة الثانية** وهي التي كانت بعد تصحيح المبادئ الخاطئة لدى مجتمعات تلك المنطقة أصبحت حركة جهاد ضد تدخل أجنبي كافر.

وخير ما اختم به دراسة هذا الموضوع، مجموعة من التوصيات أضعها بين الدارسين والباحثين، عسى الأخذ بها في الدراسات المستقبلية لاسيما البحوث المتعلقة بغرب إفريقيا وكفاح التدخل الأجنبي بالمنطقة خاصة وان اغلب الدراسات السابقة ركزت على شمال القارة وأهملت المنطقة المعروفة بجنوب الصحراء وغرب القارة وجنوبها.

–وهده بعض التوصيات .

–الاهتمام أكثر بمناطق إفريقيا الجنوبية عموما والسودان الغربي خصوصا، وإعطائها حقها في مجال الدراسات والبحث العلمي .

– دراسة الموضوع من جوانب أخرى، مع التركيز على دور الإسلام في بلورة فكرة الجهاد لدى سكان هده المنطقة والتأكيد على دور الشخصيات الإفريقية التي لعبت دورا كبيرا في مكافحة التدخل الأجنبي بالمنطقة.

–إقامة مراكز علمية للدراسات الأفريقية، والاهتمام بها أكثر، للتعرف على كل المناطق الإفريقية، ودلك للحفاظ على كل الأرشيفات، والمخطوطات حتى تسهل عملية البحث.

–توفير المصادر والمراجع الخاصة بالدراسات الإفريقية، في مكتبات يتم إنشاؤها من طرف صندوق تشارك فيه جميع الدول الإفريقية المعنية .

– تشجيع الدارسين على الاهتمام بتاريخ القارة وعدم التركيز فقط على جزء من تاريخ القارة وهو تاريخ الجزائر وهذا من خلال الإكثار من المحاضرات والندوات العلمية الخاصة بالتواريخ المعلمية في مسار تاريخ القارة الإفريقية .

وفي الأخير احمد الله في النهاية كما حمدته في البداية، والصلاة والسلام على اشرف خلقه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وعلى اله وصحبه أجمعين .

قائمة المصادر

والمراجع

-المصادر باللغة العربية.

1. إبراهيم عبد الله عبد الرزاق :المسلمون والاستعمار الأوروبي لإفريقيا، عالم المعرفة، لكويت.
2. بكري عبيد الله :المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب-المسالك والممالك-دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.س.
3. جلال يحي :تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، المكتب الجامعي الحديث الازاريطة، الإسكندرية، 1999م، ج2.
4. جمال زكرياء قاسم :الأصول التاريخية للعلاقات العربية الإفريقية، دار الفكر العربي، د، ب، 1998م.
5. حسين مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام، ط1، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، سنة1987م.
6. خلدون عبد الرحمن :المقدمة مراجعة سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1421ه/2001م،
7. ستيوارد لوثر :حاضر العالم الإسلامي دار الفكر، ج3، 1971م.
8. سير توماس، و، ارنولد :الدعوة إلى الإسلام -بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية، ترجمة إلى العربية وتعليق حسن إبراهيم حسن، وعبد المجيد عابدين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1970 م.
9. عباس ناصري احمد بن خالد :الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، ج2، تحقيق محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954م.
10. عبد الفتاح مقلد الغنيمي :حركة المد الإسلامي في غرب إفريقيا، ط1، دار نهضة الشرق، القاهرة، 1985م.
11. عبد المنعم حمدي :التاريخ السياسي والحضري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، دار المعرفة الجامعة، د.ب، 1997م.

12. عثمان برايما باري :جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي، دار الأمين للطباعة والنشر والتوزيع، البركة الناصرية، 2000م.
13. عذارى، احمد بن محمد :البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق إحسان عباس، ط2، بيروت، دار الثقافة، 1980م.
14. عصمت عبد اللطيف دندش :دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، سنة 1988م.
15. عطا الله الجمل، عبد الله عبد الرزاق إبراهيم :تاريخ المسلمين في إفريقيا ومشكلاتهم، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1996م.
16. عطية مخزوم الفيتو ري :دراسات في تاريخ شرق إفريقيا وجنوب الصحراء، منشورات جامعة قار يونس، 1994م.
17. محمد محمود السروجي :جهاد الإمام ساموري توري في غرب إفريقيا في النصف الثاني من ق13 وأوائل القرن 14 الهجريين –النصف الثاني للقرن 19م، د.ب، د.س.

المراجع باللغة العربية.

1. الهام دهني علي محمد :جهاد الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا ضد الاستعمار الفرنسي 1850م–1914م، دار المريخ للنشر، الرياض، 1988م.
2. يحي بو عزيز :تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن 16م إلى مطلع القرن 20م، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر 2001م.

المراجع باللغة الأجنبية.

1. Anderson ;gohn :West africain East africain the nineteennth and twentiethcenturies ;London 1972.
2. Cambridge history: of Africa from 1790 to 1870;great Britain ;1976;vol 5.
3. Cambridge: history of Africa from 1790 to 1870 ;great Britain;1976.
4. cann ;i ;h :colonialisme in afrikans 1870-1960 ;Cambridge ;1969.
5. carrere;f; andholle :p delà senne Gambie francaise;paris ;1855.
6. crowder;Michael:west Africa retrench ;London ;1973.

7. -MENIAUD :.JACQUES .LES POINNIERS DU SUDAN .LOVE1-11 PARIS -1931.
8. oloruntimenhin the segue tukulor empire ;londn;1972.-FORSTMER.KANYA:KECOWESTOF TH-WESTERN.SUDAN.CAMBRIDGE.1967.
9. -RESISTANC : .PYYES .SAMORI ET LA SIERRA LEONE IN CAHIERS DETUDES .1967.

المذكرات والرسائل الجامعية .

1. سمية جيمان :والتوسع الفرنسي في السنغال خلال القرن 19ومقاومة ساموري توري نموذجا ;مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث والمعاصر جامعة الجيلالي بونعامة و2014م-2015م.

2.عطية عبد الكامل :والتحولات السياسية الاقتصادية في السودان الغربي بين 1750م-1914مورسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر وجامعة الجزائر2 و2009م-2010م .

3.عائشة لودنين،فيروز جعدي :انتشار الإسلام في غرب إفريقيا خلال القرن 05هـ/10هـ،11م/16م،مدكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الوسيط الإسلامي، جامعة أكلي محتد والحاج،البويرة،2014م-2015م.

المجلات.

1. حورية مجاهد توفيق :قراءات تاريخ انتشار الإسلام في إفريقيا–الأبعاد والوسائل –العدد السادس، 2013م.

الدراسات والبحوث الأكاديمية.

1. سعود بن حمد الخثلان، المستشرق برمنجهام ومنهجه في دراسة انتشار الإسلام في غرب إفريقيا وموقفه من الإسلام والمسلمين، جامعة الملك عبد العزيز، المملكة العربية السعودية، 1996م.
2. منصف بكاي :ساحل العاج بين بناء الدولة الحديثة ومقاومة الامبريالية الفرنسية ، شبكة ضياء المؤتمرات والدراسات ، جامعة الجزائر 2.

المواقع الالكترونية.

1. حمدي عبد الرحمان ، حسن محمد ، عاشور مهدي :الإسلام في إفريقيا من الإرث الاستعماري إلى تحديات العولمة.

2. ويكيبيديا، 2 :/2017/09م، 37 :19.

3. رانيا سنجق :كيف دخل الإسلام إلى إفريقيا45: 15، 2017/09/10

4. موسوعة إسلامية موثقة، 1 :/2017/12م، 19:00

5. يوسف الخلوي :مغرس المساء، 2017/09/19م، 45 :15.

6. LIBRAR: .ISLAMWEB .NET .10/09/2017 .15 :45.

7. .19 :37.10/09/20172018–1998islamweb.net

الملاحق

الملحق:رقم01 خريطة توضح الموقع الجغرافي لغرب افريقيا.

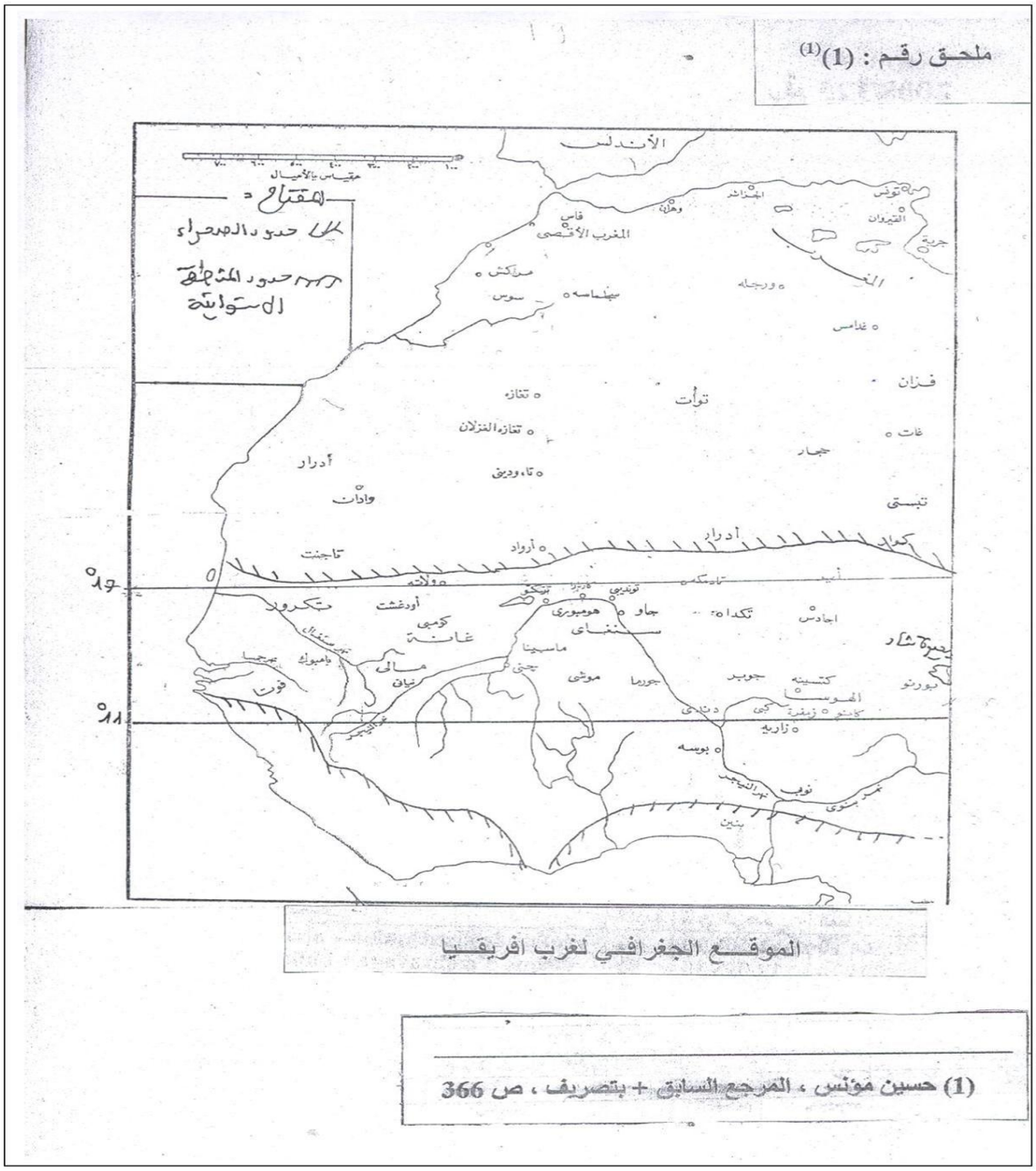

-عائشة لودنين، فيروز :جعدي، انتشار الإسلام في غرب إفريقيا خلال القرن 05هـ10هـ/11 -16م،مدكرة مقدمة لنيل شهادة ماستر في التاريخ الوسيط الإسلامي، جامعة أكلي محند اولحاج ،والبويرة،2014-2015م،ص62.

الملحق:رقم02خريطة توضح مناطق انتشار الإسلام بغرب إفريقيا.

ويكيبيديا، مناطق انتشار الإسلام بغرب إفريقيا،2018/03/20م

الملحق: رقم03صورة توضح شخصية الإمام ساموراي توري.

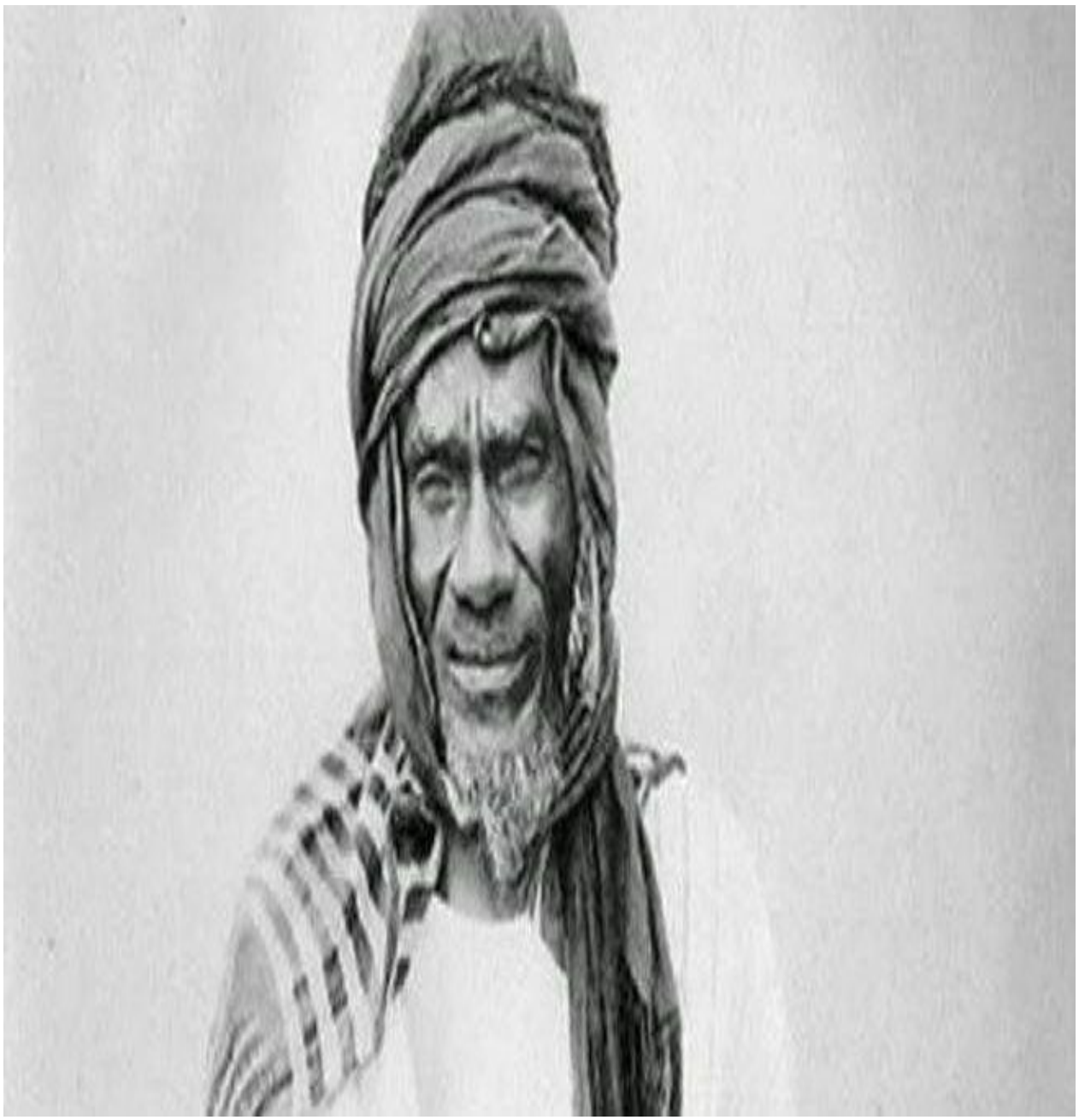

–ويكيبيديا، ساموراي توري ،2017/10/10م،19:45.

الملحق:رقم04خريطة توضح حدود مناطق ساموراي توري.

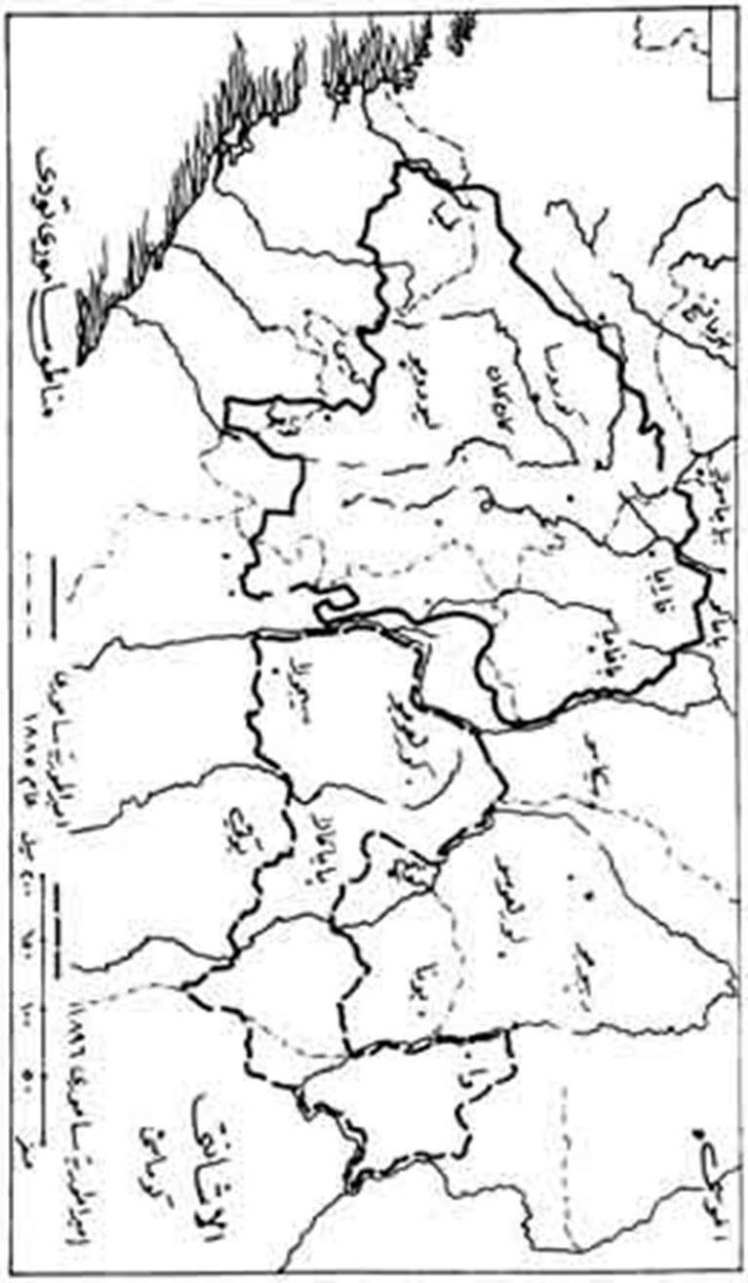

شكل رقم (9)

عطا الله الجمل ،عبد الله عبدا لرزاق إبراهيم :المرجع السابق ،ص123.

الملحق: رقم05خريطة توضح حملة 1885م.

شكل رقم (10)

عطا الجمل ،عبد الله عبدا لرزاق إبراهيم :المرجع نفسه،ص134.

فهرس

الموضوعات

العنوان	الصفحة
الشكر	
الإهداء	
المقدمة	ا
الفصل الأول انتشار الإسلام وبروز فكرة الجهاد بغرب إفريقيا .	7
المبحث الأول عوامل وطرق انتشار الإسلام في غرب إفريقيا.	8
1-دخول الإسلام إلى الغرب الإفريقي .	9
2-مراحل انتشار الإسلام في غرب إفريقيا .	11
3-وسائل انتشار الإسلام في إفريقيا .	12
المبحث الثاني بزوغ فكرة الجهاد .	26
1-أسباب ظهور ونمو فكرة الجهاد.	27
2-الاستعمار والمقاومة الإسلامية في غرب إفريقيا .	29
الفصل الثاني إمبراطورية الماندنجو تأسيسا وتطورا.	32
المبحث الأول التعريف بحياة أو بشخصية ساموراي توري .	33
1-مولد ونشأة الإمبراطور ساموراي توري.	34
2-مراحل حياة ساموراي توري .	35
المبحث الثاني تأسيس امبراطورية الماندنجو وعوامل قيامها.	39
1-استراتيجة ساموراي في بناء دولته.	40
2-مراحل تطور إمبراطورية ساموراي توري.	42
الفصل الثالث جهاد إمبراطورية ساموراي توري ونهايتها .	45
المبحث الأول مراحل جهاد وكفاح الإمبراطورية.	46
1-مراحل جهاد الإمبراطورية.	47
2- حملة العقيد ارشينا رد.	51
المبحث الثاني نهاية إمبراطورية الماندنجو.	57
1-القضاء على دولة ساموراي الإسلامية.	57

الخاتمة .	
الملاحق .	
قائمة المصادر والمراجع.	
فهرس لموضوعات.	

ملخص .

يعالج موضوع المذكرة جهاد الممالك الإسلامية بغرب إفريقيا ضد الاستعمار الفرنسي إمبراطورية الماندنجو نموذجا وهي الإمبراطورية المتنقلة التي أسسها ساموري توري تحت راية واسم الجهاد الذي كان نتيجة لانتشار الإسلام بهده المنطقة حيث أسسها ساموري بالاعتماد على 3 مراحل هي توحيد القبائل الإفريقية، وإنشاء الجيش، وتوحيد حدود الإمبراطورية، لكن الوجود لفرنسي في المنطقة شكل عائقا أمام استمرار هده الإمبراطورية لكن بالرغم من دلك استطاع ساموري الصمود بهده الإمبراطورية لمدة تقارب 13 عاما أمام هذا العدو من خلال الاعتماد على خبرته العسكرية، وتجسيد مفهوم الإمبراطورية المتحركة أي التنقل بالإمبراطورية وتحويلها حسب مراحل القوة والضعف.

وما تجدر الإشارة له هوان الاستعمار الفرنسي قد استخدم أسلوب فرق تسد واكبر دليل على دلك هو عدم وجود أو استمرار أي تحالف بين شيوخ هده المنطقة وزعمائها وتوحيد جهادهم رغم أن المستعمر كان مشترك والهدف واحد وهو الاستقلال وتوسيع حدود إماراتهم، وهو الخطأ الاستراتيجي الذي سهل سقوط هده الإمبراطوريات.

Abstract .

The theme of the note is the struggle of the Islamic kingdoms in West Africa against French colonialism. The Mandingo Empire is a model of the mobile empire founded by Samori Toure under the banner and name of Jihad, which was the result of the spreading of Islam. , But the French presence in the region was an obstacle to the continuation of this empire, but despite the fact that Samouri managed to withstand the empire for nearly 13 years in front of this enemy by relying on his military experience, and the embodiment of the concept of the Embra The evolution of the empire, transforming it into stages of strength and weakness.

What is worth mentioning is the fact that French colonialism used a divide and conquer approach. The biggest proof of this is the absence or continuation of any alliance between the sheikhs of this region and their leaders, and the unification of their jihad, even though the colonizer was a common one. The goal is independence and the expansion of the borders of their emirates. Empires.